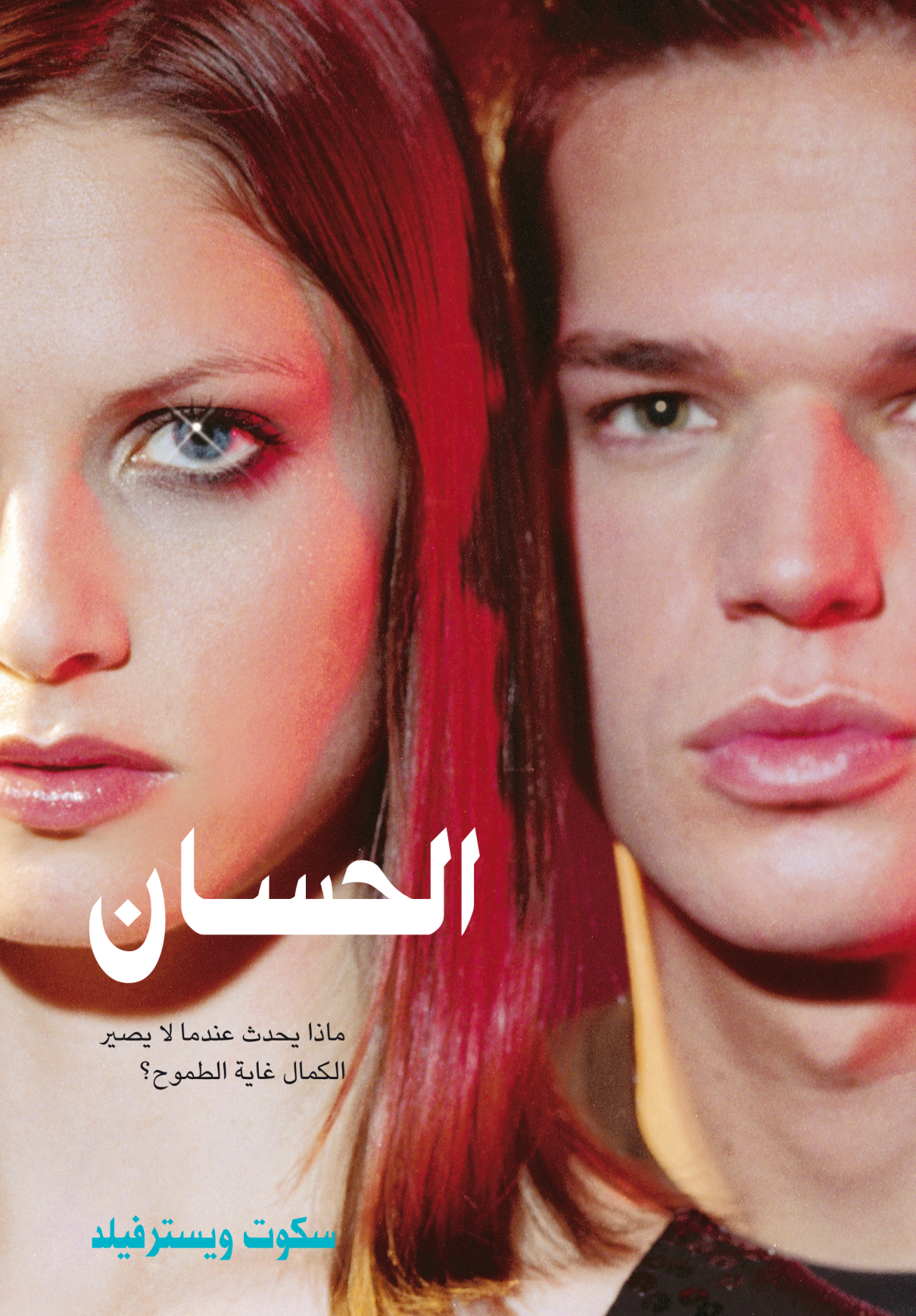




الحسان

ماذا يحدث عندما لا يصير
الكمال غاية الطموح؟

سكوت ويسترفيلد

الحسان

الحسان

ماذا يحدث عندما لا يصير الكمال غاية الطموح؟

تأليف

سكوت ويسترفيلد

ترجمة

إيمان أحمد عزب



الطبعة الأولى ٢٠١١م

رقم إيداع ١٦٠٤٧ / ٢٠١٠

جميع الحقوق محفوظة للناسر مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة

إن مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

ويسترفيلد، سكوت.

الحسان/سكوت ويسترفيلد.

٢٤٤ ص، ١٦×٢٢سم

تدمك: ١ ٦١ ٦٢٦٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص الإنجليزية

أ- العنوان

٨٢٣

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية،
ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة
نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناسر.

Arabic Language Translation Copyright © 2011 Hindawi Foundation
for Education and Culture.

Original English Language edition Copyright © 2005 by Scott Westerfeld.

Published by arrangement with Simon Pulse, an imprint of Simon & Schuster
Children's Publishing Division.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in
any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying,
recording or by any information storage and retrieval system, without
permission in writing from the Publisher.

المحتويات

٧	الجزء الأول: الجمال النائم
٩	١- فكرة تليق بالأشقياء
٢١	٢- الحفل
٢٧	٣- المترصد
٣٧	٤- تالي تسقط
٤٧	٥- زين
٥٩	٦- الصحوة
٦٧	٧- فالانتينو ٣١٧
٧٩	٨- البرج العالي
٨٧	٩- رسالة إلى نفسي
٩٥	الجزء الثاني: الدواء
٩٧	١٠- اختراق
١٠٩	١١- الوثبة
١١٣	١٢- المتطفلة
١٢١	١٣- التنين
١٢٩	١٤- انشقاق
١٣٩	١٥- الأمطار
١٤٧	١٦- الجارحون
١٥٩	١٧- الطقوس
١٦٩	١٨- في المستشفى

١٧٩	١٩- الساحقة
١٩١	٢٠- اختطاف
٢٠١	٢١- الموقد
٢٠٧	٢٢- أطراف المدينة
٢١٥	الجزء الثالث: خارج المدينة
٢١٧	٢٣- الهبوط
٢٢٥	٢٤- وحدها
٢٣٣	٢٥- الصيادون
٢٤١	٢٦- يانج بلود
٢٤٩	٢٧- الانتقام
٢٥٧	٢٨- طعام الآلهة
٢٦٣	٢٩- حافة العالم
٢٧١	٣٠- اليوم المقدس
٢٨٧	٣١- الأطلال
٢٩٣	٣٢- وجوه
٣٠١	٣٣- الحد من الخسائر
٣٠٧	٣٤- المياه الباردة
٣١٧	٣٥- شريحة التعقب
٣٢٧	٣٦- السلطات الخاصة
٣٣٥	٣٧- أحلام سخيفة
٣٣٧	إشادة برواية القباء
٣٣٩	ترقب الخاتمة المثيرة للثلاثية: المتميزون

الجزء الأول

الجمال النائم

«تذكر أن أجمل الأشياء في العالم أقلها نفعًا.»

جون راسكن،

في كتابه «أحجار البندقية»

الفصل الأول

فكرة تليق بالأشقياء

لطالما ظل اختيار الملابس المناسبة أصعب المهام في فترة ما بعد الظهيرة. حملت الدعوة الموجهة من قصر فالانتينو عبارة تشترط الدخول بملابس نصف رسمية، بدت كلمة «نصف» محيرة للغاية، وفتحت الباب أمام العديد من الاحتمالات مثلها مثل الليالي التي تمر دون إقامة حفلات. أصبح هذا الأمر سيئاً بما يكفي للفتيان، الخيارات كثيرة ومحيرة، فالملابس نصف الرسمية للفتيان قد تكون ستره وربطة عنق (أو ستره بدون ربطة عنق عند ارتداء أنواع معينة من الياقات)، ويمكن أن تكون ملابس بيضاء وقمصان دون معطف أو ستره فوقها (وذلك في الظهيرات الصيفية فقط)، هي نوع من الملابس نصف الرسمية، وأي عدد من المعاطف الطويلة والصدريات وبذل الفراك والتنورات الاسكتلندية التي يرتديها الرجال أو المعاطف الصوفية الأنيقة — جميعها اختيارات يمكن اللجوء إليها. أما مفهوم الملابس نصف الرسمية للفتيات فهو يعج بالاحتمالات والخيارات مثله مثل المفاهيم الأخرى الموجودة هنا في مدينة الحسان الجدد.

وتفضل تالي الحفلات الرسمية التي يرتدي خلالها الفتيان ملابس السهرة الكاملة التي تتكون من بدلة فراك، أو الحفلات نصف الرسمية، فالفتيات في الحالتين ترتدين ملابس السهرة، ومع أن هذه الملابس ليست مريحة بالقدر الكافي، ومع أن الحفلات لا تكون مسلية إلا بعد أن يشمل جميع الحاضرين، فهي لا تشعر على الأقل أنها مضطرة للتفكير كثيراً في اختيار الملابس المناسبة للحفل.

«نصف رسمية، نصف رسمية.» هكذا ظلت تالي تردد وهي تجول بنظرها في أرجاء خزانة ملابسها المفتوحة، والسير المتحرك يئز وهو يتحرك إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى محاولاً اللحاق بالإشارات الصادرة من عينيها، وتتأرجح

الملابس المعلقة على الشماعات بسبب حركته، نعم إن كلمة «نصف» هي كلمة سخيفة بالفعل.

تساءلت تالي بصوت مسموع: «هل هي أصلاً كلمة؟ نصف؟» لقد بدت الكلمة غريبة في فمها الذي كان جافاً مثل قطعة من الحطب منذ ليلة أمس. أجابت الغرفة: «النصف هو شطر الواحد». ولعلها ظنت أن ما قالته ينم عن الذكاء.

تمتعت: «هذا بديهي!»

ألقت تالي بنفسها على الفراش وأخذت تحملق في سقف الغرفة وهي تشعر أنها توشك أن تدور بها، وشعرت أنه ليس من العدل أن تبذل كل هذا المجهود في التفكير في كلمة شطر، وقالت: «دعيه يختفي.»

أساءت الغرفة الفهم وأغلقت الحائط على خزانة ملابس تالي، لم يكن ذلك ما تريده تالي، لكنها لم تجد في نفسها القوة لكي تشرح للغرفة أنها تعني ذلك الصداق الرهيب منذ أن أفرطت في الشراب ليلة أمس، إذ يجثم على رأسها وكأنه قطة بدينة عنيدة مترهلة تأبى أن تتزحزح عن مكانها.

في الليلة الماضية خرجت هي وبيريس بصحبة جماعة الأشقياء الآخرين لمزاولة التزلج في حلبة التزلج الجديدة المعلقة فوق استاد نيفرتيتي، لقد كانت طبقة الجليد المرتكزة على شبكة من الروافع رقيقة للغاية حتى إن المتزلجين كان بإمكانهم أن يروا الأرض من خلالها، وكانت عشرات من آلات تسوية الجليد الصغيرة تندفع بسرعة شديدة بين المتزلجين كالصراصير المذعورة وذلك لكي يظل لوح الجليد شفافاً وبلورياً، أما الألعاب النارية التي كانت تنطلق من الاستاد الذي علقت فوقه حلبة التزلج، فقد جعلت تلك الطبقة الجليدية الرقيقة تتألق وكأنها من الزجاج الملون الذي تتغير ألوانه كل بضع ثوانٍ.

كان على الجميع ارتداء السترات المطاطية حتى تحميهم من الارتطام بالأرض إذا اخترق أحدهم اللوح الجليدي. لم يحدث ذلك بالطبع، ولكن التفكير — فقط — بأن العالم من حولها قد يتهاوى في أية لحظة إذا تشقق اللوح الجليدي فجأة كان يدفعها إلى احتساء كئوس من الشمبانيا.

وكان زين — زعيم الأشقياء — قد شعر بالملل ليلة أمس، فسكب زجاجة كاملة من الشمبانيا فوق الجليد، وقال إن درجة تجمد الكحول أقل من درجة تجمد الماء،

ومن ثم قد يزوب الجليد ويسقط أحدهم وسط الألعاب النارية. ليته أفرغ المزيد من الشمبانيا لكي ينقذ تالي من هذا الصداع الذي يفتك برأسها هذا الصباح. أصدرت الغرفة صوتاً مميزاً يعني أن أحد أفراد الأشقياء ينادي على تالي.

– «مرحباً.»

– «مرحباً يا تالي.»

حاولت تالي بصعوبة أن تنهض من الفراش وهي تستند على أحد مرفقيها.

– «شاي-لا، أنا أحتاج إلى المساعدة!»

– «بشأن الحفل؟ أنا أعرف.»

– «كيف لي أن أنتقي ملابس نصف رسمية؟»

أجابتها شاي وهي تضحك: «تالي، أنت شاردة الذهن للغاية، ألم تصلكِ الرسالة؟»

– «آية رسالة؟»

– «لقد أرسلتها منذ ساعات.»

نظرت تالي إلى خاتم الاتصال الذي لا يزال ملقى على الخزانة الصغيرة المجاورة لسريرتها، فهي لا ترتديه أبداً أثناء الليل، إذ اعتادت على ذلك منذ أن كانت قبيحة، وتخرج متسللة طوال الوقت. ومنه كانت تنبعث بضع نبضات، فقد تركته تالي مضبوطاً على وضع صامت حتى لا يزعجها أثناء نومها. قالت تالي: «لقد استيقظت لتوي من النوم.»

– «انسي كل ما يتعلق بالملابس نصف الرسمية. لقد أصبح الحفل تنكرياً، وهذا

يعني أن علينا أن نرتدي أزياء تنكرية.»

نظرت تالي إلى الرسالة للتأكد من ميعاد الحفل: قبل الساعة الخامسة عصرًا

تمامًا.

– «ماذا، أمامنا ثلاث ساعات فقط؟»

– «نعم، أعرف ذلك، إنني مشتتة للغاية، لا أدري ما الذي أرتديه، أمر مخجل.

أيمكنني أن أنزل إليك؟»

– «بالطبع.»

– «سوف أحضر بعد خمس دقائق.»

– «حسنًا، أحضري الإفطار معك. إلى اللقاء.»

ألقت تالي برأسها على الوسادة مرة أخرى، فشعرت أن الفراش يدور بها وكأنها

على متن لوح طائر، إن يومها لا يكاد يبدأ حتى ينتهي.

وضعت تالي خاتم الاتصال في إصبعها وشغلت الرسالة الموجودة عليه، تقول الرسالة إنه لن يسمح لأي شخص بالدخول ما لم تكن الملابس التي يرتديها رائعة فعلاً. كم أغضبها ذلك، فأمامها ثلاث ساعات فقط لكي تنتقي شيئاً مقبولاً وجذاباً، في حين يحظى الآخرون بفرصة أفضل إذ سبقوها في الاستعداد للحفل. في بعض الأحيان تشعر بأن الحياة كانت أبسط بكثير عندما كانت مشاكسة «حقيقية».

دخلت شاي إلى الغرفة تتبعها صينية الإفطار المثقلة بألوان الطعام: قرص بيض مقلي بجراد البحر (الاستاكوزا) وخبز التوست وعجينة البطاطس المقلية وفطائر الذرة المقلية وعناقيد العنب وكعك المافين بالشيكولاتة وكئوس من مشروب كوكتيل بلودي ماري (مشروب كحولي من الفودكا وعصير الطماطم وعصير الليمون)، لقد جلبت معها أصنافاً تعجز في تفتيتها علبة كاملة من أقراص حرق السعرات. كانت الصينية المثقلة بالأطعمة تهتز بشدة، إذ أخذت المساند التي ترفعها في الهواء ترتعد وكأنها طفل صغير يبدأ يومه الأول في المدرسة.

– «ما هذا يا شاي، هل سنتنكر اليوم في زي فتاتين بدينيتين؟»
قالت شاي ضاحكة: «لا، ولكن مزاجك يبدو سيئاً، عليك أن تكوني رائعة هذه الليلة، فكل أصحابنا من الأشقياء سيحضرون لكي يصوتوا لانضمامك إلى الفريق». قالت تالي وهي تتناول كأساً من مشروب كوكتيل بلودي ماري من فوق صينية الإفطار المثقلة بالأطعمة: «ممتاز، سأكون رائعة»، ولكنها قطبت جبينها بعد أن رشفت رشفة من كأسها: «إن ملحه قليل».

قالت شاي: «لا عليك»، وأخذت شاي طبقة الكافيار التي كانت تزين أحد أطباق البيض المقلي ووضعتها في المشروب وقلبتة.
– «ما هذا؟ أصبحت رائحته كالسمك».

ردت شاي: «الكافيار يؤكل مع أي شيء». وغرفت ملعقة أخرى من الكافيار ووضعتها في فمها، وهي تغمض عينيها لتستمتع بمضغ بيض السمك، وأدارت خاتمها لتستمع إلى بعض الموسيقى.

ابتلعت تالي ريقها، وتناولت المزيد من مشروب البلودي ماري، فقد ساعدها على الأقل على التخلص من الدوار الشديد الذي كانت تعانيه. وبدأت تستهويها رائحة كعك المافين، و يمكنها أن تتناول بعدها عجينة البطاطس المقلية، ثم البيض المقلي،

وربما يمكنها أن تجرب الكافيار؛ فتناول وجبة إفطار دسمة يمنح تالي تعويضاً عن الأيام التي ضاعت منها وهي في البرية، والإسراف في تناول أطعمة الإفطار اللذيذة يشعرها بأنها تسيطر على الموقف، وكأن صينية الإفطار الحافلة بألوان أطعمة المدن يمكنها أن تمحو من ذاكرتها تلك الشهور التي كانت تتناول فيها الأطعمة المسلوقة والاسباجتي باللحم.

تسارعت ضربات قلب تالي على دقات الموسيقى الحديثة التي تستمع إليها.
وقالت: «شكراً لك يا شاي-لا، لقد أنقذتني من هذا الصدام القاتل».

– «لا عليك يا تالي-وا».

– «أين كنت ليلة أمس إذن؟»

ابتسمت شاي ابتسامة خبيثة.

– «هل تعرفت على فتى جديد؟»

هزت شاي رأسها بالنفي وهي تغمض عينيها وتفتحهما.

– «لا بد أنك أجريت عملية تجميلية أخرى، أليس كذلك؟» لم تجب شاي على

سؤال تالي، ولكنها ضحكت في جذل.

– «إذن فقد فعلتها مرة أخرى، لا يجب أن تخضعي لأية عمليات جراحية أكثر

من مرة واحدة في الأسبوع، أيمن أن تكوني شاردة الذهن إلى هذا الحد؟»

– «لا بأس يا تالي-وا، إنها ليست إلا جراحة موضعية».

– «أين هي؟» تساءلت تالي وهي تتفحص وجه شاي الذي لم يبد مختلفاً على

الإطلاق، ترى أيكون مكان الجراحة مخفياً تحت البيجامة التي ترتديها.

قالت شاي وهي تطرف بعينيها مرة أخرى، فبدت رموشها الطويلة وكأنها

ترفرف: «أمعني في النظر».

انحنى تالي للأمام وأخذت تحملق في عيني شاي النحاسيتين الخلابتين الواسعتين

المظللتين بظلال جفون لامعة متلائة، كل شيء بهما رائع. حينئذ شعرت تالي بأن

ضربات قلبها تتسارع وهي تتأملها؛ فبعد مرور شهر على قدومها إلى مدينة الحسان

الجدد، لا تزال تالي تقف كالمذهولة أمام عيون غيرها من الحسان، إذ كانت واسعة

للغاية ودافئة جداً وتلمع ببريق الاهتمام، فقد خيل لها أن عيني شاي الجذابتين

تتمتcan بهذه الكلمات: أنا أنصت إليك، فأنت تبهريني. وشعرت تالي أن هاتين

العينين لا تكثران بشيء في العالم إلا بها هي، شعرت بالاهتمام يطل من عيني شاي.

يستحوذ هذا الشعور على تالي بدرجة أكبر حينما يكون الأمر متعلقاً بشاي، فعلاقتهم تمتد جذورها إلى الماضي؛ إلى زمن القبح، قبل أن تغير عملية التحول شاي لتصبح بهذا الشكل.

«أمعني في النظر أكثر.»

لمست تالي ما دار داخلها من محاولة لأن تهدئ من روعها، وعادت تشعر بأن الغرفة تدور بها، ولكن هذه المرة لأنها كانت تشعر بأنها بحالة معنوية جيدة. أشارت تالي إلى النوافذ لكي تزداد شفافية زجاجها قليلاً، وفي ضوء الشمس رأت الإضافات التجميلية التي وضعتها شاي: «إنها تضيف حقاً إلى جمالك».

إنها اثنتا عشرة حبة صغيرة من الياقوت تطوق كل حدقة من حدقتي عيني شاي، وتتألق برقبة بلون أحمر، ومن خلفها قزحية عينيها الخضراوين بلون الزمرد، فبدت هذه الإضافة التجميلية أوضح من كل الجواهر الصغيرة المتألقة الأخرى المزروعة داخل عينيها.

«جميلة وعصرية، أليس كذلك؟»

أجابتها تالي وهي تحقق فيها باهتمام بعد أن ضيقت عينيها: «بلى، ولكن، لحظة ... هل الجواهر الموجودة في الركن السفلي الأيسر مختلفة؟»، ففي كل عين جوهرة يتوهج بريقها تارة ثم يخبو ثم يتوهج تارة أخرى وكأنها شمعة صغيرة بيضاء تطل من أعماق عيني شاي النحاسيتين.

قالت شاي: «هذا يعني أن الساعة الآن الخامسة، أفهمت؟».

تطلب الأمر من تالي ثانية واحدة لكي تتذكر كيف يمكنها أن تتعرف على الوقت بالنظر إلى ساعة البرج الكبير الموجود بمركز المدينة، ثم قالت: «ولكن هذا يعني أنها السابعة، فلو كانت الخامسة لتوهجت الجوهرة الموجودة في الركن السفلي الأيمن، أليس كذلك؟».

قالت شاي بلهجة متذمرة: «لأنها تعمل عكس اتجاه عقارب الساعة أيتها الحمقاء، أنا أعني أن الطريقة الاعتيادية لقراءة الساعة أصبحت مملة جداً».

كادت تالي تنفجر ضاحكة وهي ترد عليها: «لحظة واحدة، أتقصد أنك زرعت مجموعة من الجواهر في عينيك؟ تدلك على الوقت؟ وتعمل عكس اتجاه عقارب الساعة؟ أليس هذا أكثر من اللازم يا شاي؟».

شعرت تالي بالندم على كلامها، فقد خيمت سحابة من الحزن على وجه شاي، ومحت كل أثر للحبور الذي أضاء وجهها منذ قليل، لقد بدا أن شاي على وشك البكاء،

ولكن من دون أن تنتفخ عيناها أو يحمر أنفها، فالحديث عن العمليات التجميلية الجديدة دائماً يعتبر من الموضوعات الحساسة، مثله مثل الحديث عن قصات الشعر الجديدة.

قالت شاي بهدوء مشوب بلهجة اتهام: «ألا تعجبك؟».

– «نعم، تعجبني بالطبع، فقد قلت لك من قبل إنها تضيف حقاً إلى جمالك.»
– «حقاً؟»

– «نعم، وأكثر مما تتخيلين، وجميل أنها تعمل عكس اتجاه عقارب الساعة.»
عادت ابتسامة شاي إلى وجهها، فتنهدت تالي بارتياح وهي لا تزال لا تصدق نفسها، فهذا الخطأ من الأخطاء التي لا يرتكبها سوى المبتدئين من الحسان، أما هي فقد خضعت لعملية التحول منذ أكثر من شهر كامل، فلماذا لا تزال تتفوه بمثل هذه التعليقات التي لا تصدر إلا من القبحاء؟ إذا حدث أن قالت تعليقاً مشابهاً الليلة أثناء الحفل، فقد يصوت أحد أفراد الأشقياء ضد انضمامها إلى الفريق، فصوت واحد ضدها يكفي لاستبعادها من الانضمام إليهم.

وإذا حدث ذلك فستصبح وحيدة، وتعود أيام الانطواء من جديد.

قالت شاي: «ربما علينا أن نتنكر كبرجي ساعة، احتفالاً بعيني الجديدتين.»
ضحكت تالي، فقد فهمت من هذه الدعابة الواهية أن شاي سامحتها، فمهما حدث فهي وشاي صديقتان منذ فترة طويلة. سألتها: «هل تحدثت إلى بيريس وفاوستو؟».

أومأت شاي برأسها وهي تقول: «لقد قالوا إننا جميعاً يجب أن نرتدي أزياء تعبر عن أفكار تليق بالأشقياء، لديهم فكرة معينة من الآن، ولكنهما يعتبرانها سرّاً.»

– «هذا سخيف، فهما يتصرفان وكأنهما يمتلكان مواهب حقيقية، كل ما كانا يفعلانه وهما قبيحان هو التسلل إلى الخارج، وربما عبور النهر مرات قليلة، ولم يتمكنوا قط من الوصول إلى منطقة الضباب.»

انتهت الأغنية في تلك اللحظة، وخيم الصمت فجأة على المكان مع آخر كلمة نطقت بها تالي. حاولت تالي أن تفكر في أي شيء تقوله ولكن الكلمات خبت كما يخبو بريق الألعاب النارية في السماء المظلمة، وخيل إليها أن فترة طويلة مرت قبل أن تبدأ الأغنية التالية.

وحينما بدأت تلك الأغنية التالية شعرت تالي بالارتياح وقالت: «إن التنكر في زي يليق بالأشقياء لا بد أن يكون شيئاً سهلاً يا شاي-لا، فنحن أكبر فتاتين من الأشقياء في المدينة.»

مرت ساعتان وتالي وشاي منهماكتان في تجربة الملابس، إذ أخذتا تطلبان من الكوة الذكية الموجودة بالحائط أن تدفع إليهما بالحل التنكري لكي تجرباهما. فكرت تالي وشاي في البداية في التنكر في زي قاطعتي طريق، لكنهما لم تكونا تعرفان كيف تبدو الملابس التي يرتديها قطاع الطرق، فكل قطاع الطرق الذين ظهرُوا في الأفلام القديمة التي شاهدها تالي وشاي على الشاشة الحائطية لم يبد على مظهرهم أي طابع شقي، بل بدوا متخلفين، أما ملابس القراصنة فهي أفضل بكثير، ولكن شاي لا تريد أن تضع تلك الرقعة الجلدية السوداء فوق إحدى عينيها المزينتين بجواهر الياقوت الجديدة. فكرت الفتاتان في التنكر في زي قناصين، ولكن الكوة الذكية مصممة بحيث لا تأتي بالبنادق حتى إن كانت مزيفة. وفكرت تالي أيضاً في التنكر في هيئة الطغاة المشهورين على مر التاريخ، ولكنها اكتشفت أن معظم الشخصيات التي فكرت فيها كانت لرجال، ولم تعجبها أيضاً ملابسهم، فهي تفتقر إلى الذوق العصري. قالت شاي: «ربما يمكننا أن نتنكر في زي فتاتين من العصر القديم، ألا تذكرين أننا درسنا أنهم كانوا دائماً الأشرار.»

– «ولكنني أظن أنهم يشبهوننا في معظم النواحي، فيما عدا أنهم كانوا قبحاء.»
– «لا أدري، ربما يمكننا أن نقطع الأشجار أو نحرق النفط أو شيئاً من هذا القبيل.»

ضحكت تالي وقالت: «شاي-لا، إننا نبحث عن زي تنكري وليس عن أسلوب حياة.»

بسطت شاي ذراعيها وأخذت تسترسل في كلامها وهي تحاول التصرف كما يليق بفتاة جميلة، قائلة: «يمكننا أن ندخن السجائر؟ أو نقود السيارات؟».

ولكن الكوة الذكية سترفض أن تحضر لهما السجائر أو السيارات. استمتعت تالي وهي تقضي وقتها بصحبة شاي تجرب الأزياء التنكرية ثم تبدي استهجانها وتضحك وتقذف بتلك الأزياء مرة أخرى إلى آلة إعادة تدوير الملابس، وشعرت بالسعادة وهي تشاهد نفسها ترتدي أزياء جديدة، حتى وإن كانت أزياء سخيفة، فجزء منها لا يزال يتذكر الماضي، حينما كان النظر في المرأة يعذبها، إنها لا

تزال تذكر المسافة الضيقة جدًا التي كانت تفصل بين عينيها وأنفها متناهي الصغر، وشعرها المجدد طوال الوقت، ولكنها الآن تشعر وكأن فتاة فائقة الجمال تقف أمامها تتبعها في كل حركة، فتاة تتمتع بوجه متناسق الملامح، تلمع بشرتها النضرة حتى وهي تعاني الصداع جراء الإسراف في الشراب، فتاة تتمتع بجسم متناسق وعضلات مشدودة، فتاة يساير لون عينيها الفضي أي شيء ترتديه.

ولكن ذوقها في اختيار الأزياء لا يزال بشعًا.

وبعد قضاء ساعتين في تلك المحاولات الدءوبة استلقت الفتاتان على الفراش، وشعرت تالي بأنه يدور بها.

قالت تالي: «كل الأشياء سخيفة، لماذا أجد كل الأشياء سخيفة يا شاي-لا؟ لن ينتخبني أحد الليلة قط إذا لم أستطع أن أظهر في الحفل بزي غير سخي». قالت شاي وهي تمسك بيدها: «لا تقلقي يا تالي، لقد أصبحت مشهورة حاليًا، ليس هناك داعٍ لكل هذا القلق».

- «ما أسهل أن تقولي مثل هذا الكلام».

مع أن شاي وتالي ولدتا في يوم واحد، فشاي أصبحت جميلة قبل تالي بعدة أسابيع، وانضمت إلى فريق الأشقياء منذ شهر كامل وأصبحت من أعضائه المشهورين. قالت شاي: «لن تكون هذه مشكلة كبيرة يا تالي، فأني شخص سبق له رفقة السلطات السرية الخاصة يصبح أحد أفراد الأشقياء تلقائيًا».

شعرت تالي حينما قالت شاي ذلك وكأن صفارة الرسائل تسري بداخلها تخترقها وتؤلّمها، وقالت: «ولكنني مع ذلك يؤلمني ألا أكون رائعة».

- «بيريس وفاوستو هما المخطئان، لأنهما لم يخبرانا عما سيرتديانه الليلة».

- «فلننتظر حتى يأتيا ونقلد فكرتهما».

قالت شاي وقد وافقتها: «إنهما يستحقان ذلك، أترغبين في تناول الشراب؟».

- «لا بأس».

كانت تالي تشعر بدوار شديد ولم تستطع أن تتحرك من مكانها، فطلبت شاي من صينية الإفطار أن تذهب وتحضر بعضًا من الشمبانيا.

وصل بيريس وفاوستو والنيران تشتعل فيهما.

لم تكن هذه النيران في الواقع سوى ألعاب نارية صغيرة ملفوفة حول خصلات شعرهما ومعلقة على ملابسهما، تطلق شرارات آمنة تتوهج ثم تخبو، ولم يكف

فاوستو عن الضحك فالشرارات تدغده. كان فاوستو وبيريس يرتديان سترات القفز المطاطية، فهما متنكران في زي شابين قفزا من فوق سطح بناية اشتعلت فيها النيران.

قالت شاي معلقة: «هذا رائع!».

ووافقتها تالي: «إنها حقاً مضحكة»، ولكنها استطردت متسائلة: «ولكن كيف تليق هذه الفكرة بالأشقياء؟».

قال بيريس: «أتذكرين عندما اقتحمت إحدى الحفلات في الصيف الماضي وسرقت إحدى السترات المطاطية لكي ترتديها وتقفزي من فوق السطح حتى تتمكني من الهرب؟ إن هذه هي أجمل خدعة قام بها شخص من القباء على الإطلاق!»
سألتها تالي: «بالطبع ... ولكن لماذا تشتعل النيران في ملابسكما، أنا أقصد أنه إذا كان المبنى يحترق حقاً فهذه الخدعة لا علاقة لها بالأشقياء».

نظرت شاي إلى تالي نظرةً توحى أنها عادت تعلق تعليقات سخيفة شأنها شأن القباء.

رد فاوستو: «لا يمكننا أن نكتفي فقط بارتداء سترتين مطاطيتين، فإشعال النيران في الملابس سيجعل الفكرة أجمل بكثير».

قال بيريس: «نعم»، ولكن تالي شعرت بالحزن، فقد لاحظت أن بيريس فهم قصدها. يا لها من غبية! فزيهما التنكري حقاً رائع.

أطفاً بيريس وفاوستو الألعاب النارية لكي لا تنفد قبل أن يبدأ الحفل، وطلبت شاي من الكوة الذكية أن تصنع سترتين مثل سترتي بيريس وفاوستو.

هتف فاوستو شاكياً: «هذه سرقة للأفكار!»، ولكن طلب شاي ذهب أدراج الرياح، فالكوة سترفض صنع زيٍ تنكريٍّ على شكل سترة مطاطية، تحسباً لاحتمال أن ينسى من يرتديها أنها غير حقيقية فيقفز من مكان عالٍ ويرتطم بالأرض. ومن غير المسموح أن تصنع سترة مطاطية حقيقية، فصناعة أي شيء معقد أو أي شيء غير قابل لإعادة التدوير تتطلب تقديم طلب خاص بصناعته، وهذا الطلب لن يفلح في إقناع الكوة الذكية بصناعة أية سترات مطاطية لعدم وجود حريق.

قالت شاي في ضيق: «إن القصر سخيف حقاً اليوم».

تساءلت تالي: «من أين حصلتما على هاتين السترتين؟»

ابتسم بيريس وهو يمسك بسترته وقال: «إنهما حقيقتان، لقد سرقناهما من السطح».

قفزت تالي من فراشها لتحتضنه: «إذن فهذا الزي يناسب الأشقياء». وبينما كانت تالي تقف بجوار بيريس وهي لم تعد تشعر أن الحفل سيكون سخيلاً، أو أنه من الممكن أن يعترض أحد على انضمامها للأشقياء، تألقت عيناه البنيتان وهو ينظر إليها، ورفعها من الأرض وهو يضمها إليه بشدة، لقد كانت تالي تشعر دائماً أنها قريبة من بيريس حتى في أيام القبح، فقد شباً معاً، وكانا يقومان معاً بالكثير من الحيل والخدع التي تخالف القواعد والنظام. كم هو رائع أن تستعيد هذا الشعور نفسه الآن.

فطوال كل تلك الأسابيع التي قضتها تالي في البرية بعد أن ضلت الطريق، كان كل ما تريده هو أن تعود إلى المدينة لتكون مع بيريس، وقد أصبحت من جميلات مدينة الحسان الجدد. كم كانت غبية حينما استسلمت لشعورها بالحزن اليوم، من الغباء أن تسمح لهذا الشعور بأن يتسرب إليها سواء اليوم أو في أي يوم آخر، ربما كل ما في الأمر أنها أسرفت في شرب الشمبانيا بالأمس. همست في أذنه وهو ينزلها على الأرض: «سنظل خير صديقين إلى الأبد».

قالت شاي وهي تمسك بكتلة من الصوف عديمة الشكل كانت قد أخرجتها من خزانة ملابس تالي وهي تبحث بداخلها عن أي شيء يصلح كزي تنكري: «ما هذا الشيء؟».

كانت تالي تلف ذراعيها حول بيريس، فأبعدتهما عنه وقالت: «هذه سترتي الصوف التي كنت أرديها حينما كنا نعيش في منطقة الضباب، أتذكرين؟» لقد بدت السترة غريبة، ليس كما تتذكرها؛ فهي ملبدة الخيوط، والغرز المنسوجة يدوياً واضحة، فسكان منطقة الضباب لم تكن لديهم كوة ذكية بالحائط، وكانوا مضطرين لصنع أغراضهم بأيديهم، وقد اتضح لها أن البشر لا يجيدون صنع ما يحتاجونه من أشياء.

– «ألم تضعيها في آلة إعادة التدوير؟»

– «بلى، فأنا أظن أنها مصنوعة من مادة غريبة لا يمكن للكوة الذكية أن

تستخدمها في صناعة شيء آخر.»

أمسكت شاي بالسترة وقربتها من أنفها لتشم رائحتها: «إن رائحتها تذكرني بالضباب وحفلات السمير حول نيران المعسكر وتلك اليخنة التي كنا نأكلها دائماً، أتذكرين ذلك؟».

اقترب بريس وفاوستو ليشما تلك الرائحة، فهما لم يسافرا إلى خارج المدينة إلا مع الرحلات المدرسية لزيارة أطلال المدينة القديمة الصدئة، ولم يصلا من قبل بالطبع إلى منطقة بعيدة مثل منطقة الضباب، حيث كان يضطر الجميع للعمل طوال اليوم في صناعة احتياجاتهم، وتربية (أو ربما صيد) الحيوانات اللازمة لطعامهم. وكان الجميع هناك يظلون قبحاء بعد أن يبلغوا عامهم السادس عشر، وربما يظلون هكذا حتى يفارقوا الحياة.

لم يعد هناك وجود لمنطقة الضباب، بالطبع، بفضل مجهودات تالي والسلطات السرية الخاصة.

قالت شاي: «تالي، أنا عندي فكرة جيدة، لنذهب إلى الحفل الليلة في زي فتاتين من سكان الضباب».

قال فاوستو وعيناه تبرقان بالإعجاب: «يا لها من فكرة رائعة تليق بالأشقياء!» تطلع الثلاثة إلى تالي وقد بدا عليهم الإعجاب بالفكرة، ومع أنها أحست بشعور غير مريح يسري بداخلها، أدركت أنها إذا لم توافق فسينظر الجميع إليها على أنها فتاة سخيفة، إلى جانب أن ارتداءها زياً تنكرياً رائعاً بكل المقاييس كسترة حقيقية مصنوعة من الصوف بأيدي سكان الضباب يضمن لها ألا يعترض أحد على انضمامها إلى الأشقياء، لأن تالي يانج بلود شقية بالفطرة.

الفصل الثاني

الحفل

كان الحفل مقامًا في قصر فالانتينو، وهو أقدم مبنى في مدينة الحسان الجدد، مكون من بضعة طوابق ويمتد بمحاذاة النهر، ولكن يعلوه برج إرسال يمكن رؤيته من منتصف الجزيرة. والجدران الداخلية للمبنى مشيدة من الحجارة الحقيقية، ولذلك لا يحتوي المبنى على غرف متكلمة، لكنه يتمتع بتاريخ حافل بالعديد من الحفلات الكبيرة المبهرة، مما جعل قائمة الانتظار للسكن في قصر فالانتينو لا تكاد تنتهي.

قطع بيريس وفاوستو وشاي وتالي حدائق المتعة التي يشيع فيها الابتهاج والمؤدية إلى قصر فالانتينو وهي تعج بأشخاص متجهين إلى الحفل. رأت تالي شخصًا متنكرًا في زي ملاك بجناحين جميلين من الريش، وقدرت أن صاحبه تقدم بطلب الحصول عليه منذ شهور، وأحست أن ذلك يعد من قبيل الغش، وهناك أيضًا مجموعة من الحسان الجدد يرتدون بذلًا سميكة لتعطيتهم حجمًا أكبر، وأقنعة تضاعف من حجم ذقونهم ثلاثة أضعاف، ورأت فريقًا من جماعة الهمجيين يتظاهرون بأنهم سكان ما قبل العصر القديم، فأخذوا يشعلون النيران في الهواء الطلق ويدقون الطبول وهم شبه عراة تقريبًا ويرقصون رقصة تشبه رقصة الروك، ويحيون حفلتهم على طريقتهم، مثلما يفعل الهمجيون دائمًا.

ظل بيريس وفاوستو يتحدثان بشأن الوقت المناسب لإشعال النار في ملابسهما مجددًا؛ إنهما يريدان أن يجذبا انتباه الحاضرين لدى دخولهما الحفل، لكنهما لا يريدان أيضًا أن يستهلكا ألعابهما النارية كلها قبل أن يراها الأعضاء الآخرون في جماعة الأشقياء.

عندما اقتربوا من قصر فالانتينو وغمرتهم الأضواء الساطعة والضوضاء الصاخبة شعرت تالي بتوتر شديد، فملابسها المصنوعة بأيدي سكان الضباب لم تعد تبهرها

عندما رأت الأزياء التي يرتديها الآخرون؛ فكانت تالي ترتدي سترتها القديمة المصنوعة من الصوف، وبنطلوناً خشن الملمس وحذاءً يبدو كأنه مصنوع يدوياً، رأت تالي أحد سكان الضباب يرتديه ووصفته للكوّة الذكية، وهي تحمل على ظهرها حقيبة التخميم في المعسكرات، ارتدت شاي مثل تالي بالضبط. ولطخت شاي وتالي وجهيهما وملابسهما بالوحل، لكي تبدوا و لم تغتسلا منذ فترة طويلة، فبدت فكرتهما رائعة وهما في الطريق إلى الحفل، ولكن بدأ الأمر الآن يشعرهما بالقدارة.

عند باب المبنى وقف اثنان متنكران في هيئة فالانتينو، يرتديان ملابس حراس، ليتأكدا من أن كل من يهدف إلى الداخل يرتدي زيّاً تنكرياً. في البداية استوقفا بيريس وفاوستو، ولكن عندما أشعل الفتیان النار في ملابسهما ضحك الحارسان ودفعا بهما إلى الداخل، وعندما وقع نظرهما على شاي وتالي هزاً كتفیهما بشكل ينم عن عدم فهم، ولكنهما سمحا للفتاتین بالدخول.

قالت شاي: «انتظري حتى يرانا المشاكسون الآخرون، سوف يستوعبون الفكرة». أخذ الأربعة يشقون طريقهم وسط الزحام وسيل من الأزياء التنكزية يحيط بهم. لقد تنكر الحاضرون في أزياء وشخصيات مختلفة ومتعددة، وشاهدت تالي البعض متنكرًا في هيئة رجل الثلج، وآخرين يرتدون ملابس الجنود، وآخرين متنكرين في زي شخصيات الألعاب الإلكترونية، وهناك أيضًا مجموعة من الحاضرين متنكرون على هيئة أعضاء لجنة شئون الجمال من علماء مدينة الحسان الجدد ويمسكون بتصميمات الوجوه المستخدمة في عمليات التحول الجراحية. وكذلك المتنكرون في هيئة شخصيات تاريخية ينتشرون في كل مكان وهم يرتدون أزياء مجنونة تمثل شخصيات من جميع أنحاء العالم، مما ذكر تالي بمدى الاختلاف الكبير الذي كان يميز كل فرد عن الآخر في الماضي حينما كان عدد البشر كبيراً جداً، أما أغلبية الحاضرين من الحسان الجدد الأكبر سناً فكانوا يرتدون أزياء تنكزية حديثة تمثل الأطباء أو الحراس أو البنائين أو السياسيين، أو أية مهنة يرغبون في الالتحاق بها بعد الجراحة التي يخضعون لها ليصبحوا من شباب الحسان. وعلى سبيل المزاح حاول عدد من المتنكرين في زي رجال الإطفاء أن يخدموا ألسنة اللهب المشتعلة في بيريس وفاوستو، ولكنهم لم ينجحوا إلا في مضايقتهما.

ظلت شاي تسأل: «أين هم؟» ولكن الجدران الحجرية لم تجبها.

قالت شاي: «هذه الجدران العتيقة لا تتكلم. كيف يعيش الناس هنا؟».

أجابها فاوستو: «أحسب أنهم يحملون الهواتف اليدوية طوال الوقت، كان علينا أن نطلب واحدًا».

إن المشكلة هي أنه داخل قصر فالانتينو لا يمكن الاتصال بالآخرين بالطلب فقط، فالغرف الداخلية قديمة ورطبة، ولذلك فالوجود داخل القصر لا يختلف كثيرًا عن الوجود خارجه. ووضعت تالي راحتها على الجدار وهي تمشي مع أصدقائها، وأعجبها الملمس البارد للأحجار القديمة، لكن الأحجار ذكرتها بالأشياء التي رأتها في البرية، فهي خشنة وهادئة ورتيبة. لم تكن تالي تتحرق شوقًا للقاء الأشقياء الآخرين، فلا بد أنهم سيظلون يراقبونها طوال الوقت لاتخاذ قرار إما بقبولها عضوًا جديدًا في جماعتهم أو رفضها.

أخذ الأربعة يتجولون في الردهات المزدحمة ويختلسون النظرات إلى الغرف الممتلئة برواد الفضاء والمستكشفين القدامى. رأت تالي خمس فتيات متنكرات في زي الملكة كليوباترا، واثنين في زي الممثلة والمغنية الأمريكية ليليان راسل، وبضعة شبان يتنكرون في زي الممثل ردولف فالانتينو، وعرفت تالي فيما بعد أن قصر فالانتينو سمي على اسم هذا الممثل الذي عاش في العصر القديم، وكان يمتلك حسنًا طبيعيًا. أما الجماعات الأخرى فقد ارتدى أفرادها أزياء تنكرية موحدة تعبر عن أفكارهم، فجماعة الرياضيين يحمل أفرادها عصي الهوكي وهم يرتدون أحذية التزلج الطائرة فتتميل أجسادهم من فوقها، وتنكر أفراد جماعة الراقصين في زي أفراد فرقة «سيك بابيز» الموسيقية وهم يرتدون قمصانًا ذات ياقات بلاستيكية كبيرة مخروطية الشكل، أما جماعة الجرايين فينتشر أفرادها في كل مكان، يثرثرون فيما بينهم باستخدام خواتم الاتصال الخاصة بهم، وهم مزودون بهوائيات تشبه قرون الاستشعار مزروعة في جلودهم تمكنهم من الاتصال بعضهم ببعض في أي مكان حتى داخل جدران قصر فالانتينو البكماء، وتسخر الجماعات الأخرى دائمًا من جماعة الجرايين، إذ لا يجرؤون على الذهاب إلى أي مكان إلا في جماعات ضخمة كالجراد، وجميعهم متنكرون في شكل ذباب بعيون كبيرة جاحظة، وهي على الأقل فكرة منطقية لأنها تناسبهم.

لم تلمح تالي أيًا من الأشقياء الآخرين وسط سيل الأزياء التنكرية التي أحاطت بها، وبدأت تتساءل هل فضل جميع الأشقياء عدم حضور الحفل حتى لا يصوتوا لها؟ وبدأ ينتابها سيل من الخواطر النابعة من رهاب الاضطهاد، إذ ظلت تلمح شخصًا يتتبعها من بعيد، وهو مهندس وسط الزحام يكاد يتوارى، ولكنه ظل دائمًا

موجودًا، ولكن كلما التفتت خلفها وجدت الزي الحريري رمادي اللون يختفي عن نظرها.

لم تستطع تالي أن تميز هل هذا الشخص فتى أم فتاة، فهو يرتدي قناعًا مخيفًا، ولكنه جميل في الوقت ذاته، وكانت عيناه القاسيتان تلمعان في أضواء الحفل الخافتة المتقطعة كعيني الذئب. شعرت تالي أن هذا الوجه البلاستيكي يهز شيئًا ما في أعماقها؛ إنه يوقظ ذكرى أليمة استيقظت في ذهنها في لحظة.

وعندئذٍ أدركت تالي هوية الزي التنكري؛ إنه زي أحد عملاء السلطات السرية الخاصة.

استندت تالي على أحد الجدران الحجرية الباردة، وعادت بذاكرتها إلى الرداء الحريري رمادي اللون الذي يرتديه عملاء السلطات السرية الخاصة، وأخذت تتذكر وجوههم الجميلة القاسية، وأصابها المشهد بدوار كعادتها كلما تذكرت الأيام التي قضتها في البرية.

لم يكن لمشاهدة الحلة الرمادية هنا في مدينة الحسان الجدد أي مغزى، ففيما عدا تالي وشاي لم يسبق لأحد رؤية أي عميل من عملاء السلطات السرية الخاصة من قبل، إذ لم يكونوا إلا مادة للشائعات لدى معظم الناس، وكلما وقع شيء غريب في المدينة أُلقي عليهم باللائمة، وقد حرص عملاء السلطات السرية الخاصة على التخفي، فوظيفتهم هي حماية المدينة من الأخطار الخارجية التي تهددها، مثلهم مثل الجنود والجواسيس الذين كانوا يحرسون أمن الدول أيام العصر القديم، ولكن لم يلتق بهم شخصيًا إلا من قام بأعمال إجرامية حقيقية مثل تالي يانج بلود.

ومع ذلك يبدو أن الزي التنكري الرمادي صنعته أيدٍ بارعة بإتقان، لا بد أن من صنعه رأى عميلًا حقيقيًا من عملاء السلطات السرية الخاصة من قبل. ولكن «لماذا يتتبعها» هذا الشخص؟ فكلمة استدارت تالي لتتأمل خلفها رأتها يتحرك بخفة وكأنه حيوان يطارد فريسته، لقد أثارت خفة حركته تلك الرعب في نفس تالي، فهي تذكرها بمطاردتها بين أطلال منطقة الضباب في ذلك اليوم المشؤم حين جاءوا ليعيدوها إلى المدينة.

هزت تالي رأسها، فتذكر تلك الأيام دائمًا يثير في نفسها ذكريات سخيفة ومتضاربة. لم تكن السلطات السرية الخاصة تطارد تالي بالطبع، فما الذي يدفعهم إلى ذلك؟ لقد «أنقذوها»، وأعادوها إلى منزلها بعد أن تركت المدينة لكي تتبع شاي. لطالما كان التفكير في السلطات السرية الخاصة يصيب تالي بالدوار، ولكن ذلك يرجع

إلى أنه من المقصود أن تخيف وجوههم القاسية من ينظر إليها، مثلما تترك وجوه الحسان انطباعاً جميلاً لدى من ينظر إليها.

ربما لم يكن ذلك الشخص يتتبعها حسبما تظن، وربما كان هناك أكثر من شخص؛ جماعة كاملة يرتدي أفرادها زيّاً تنكرياً واحداً وينتشرون في أرجاء قصر فالانتينو، مما أوحى لها بأن هناك شخصاً واحداً يترصدها، فهدأت هذه الفكرة من روعها قليلاً.

انضمت تالي إلى الآخرين، وأخذت تمزح معهم وهم يبحثون عن بقية الأشقياء، ولكنها ظلت في الوقت نفسه تبحث بعينيها عن أي شخص يتوارى في الأركان المظلمة، ومع الوقت تيقنت تالي من عدم وجود جماعة يرتدي أفرادها زيّاً تنكرياً واحداً كما كانت تظن، بل هو شخص واحد فقط لا يتحدث مع أحد، ولا يفعل شيئاً سوى ترصدها، وهو يتحرك بخفة شديدة ...

أخذت تالي تحاول أن تطمئن نفسها، فليس هناك ما يدعو السلطات السرية الخاصة لتتبعها، كذلك ليس من المنطقي أن يحضر أحد عملاء السلطات السرية الخاصة حفلاً تنكرياً وهو يرتدي زي «السلطات الخاصة». راحت تالي تتكلف الضحك، وهي تفكر أنه من المحتمل جداً أن يكون هذا الشخص واحداً من الأشقياء قرر أن يحيك لها مكيدة بعد أن سمع بحكايتها هي وشاي التي روتها ألف مرة، وعرف كل شيء عما حدث لهما مع السلطات السرية الخاصة، إذا كان هذا هو كل ما في الأمر فسوف يكون من السخيف للغاية أن تظل شاردة الذهن هكذا أمام الجميع، من الأفضل أن تتجاهل هذا العضو الزائف للسلطات السرية الخاصة وتنسى الأمر تماماً. نظرت تالي إلى الزي الذي ترتديه، وتساءلت عما إذا كانت الملابس التي جلبتها معها من الضباب هي التي تشعرها بالخوف والتوتر، إن شاي على حق، فرائحة هذه السترة القديمة المصنوعة يدوياً من الصوف تذكرها بتلك الأيام التي قضتها هي وشاي خارج المدينة، والعمل المضني نهائياً والالتفاف حول نيران المعسكر التماساً للدفء ليلاً، كل هذه الذكريات تمتزج مع الوجوه القبيحة المسنة التي لا تزال تفرعها حتى تستيقظ من منامها ليلاً وهي تصرخ أحياناً.

لا بد أن العيش في الضباب قد نال من عقل تالي.

لم يذكر لها أحد شيئاً عن هذا الشخص. أياكون جميعهم مشتركين في المكيدة؟ لقد ظل فاولستو قلقاً من أن تنطفئ الألعاب النارية قبل أن يراها أي من الأشقياء الآخرين وقال: «لنر هل هم موجودون في أحد الأبراج؟».

وافق بيريس على الفكرة وقال: «على الأقل يمكننا أن نتصل بهم من أي مبنى حقيقي».

اتجهت شاي نحو أقرب باب وهي تقول في تذمر: «أوافق على أي شيء يخرجنا من كومة الصخور البشعة هذه».

كان الحاضرون يخرجون من القصر حتى ابتعدوا عن الجدران الحجرية العتيقة، واتجهت شاي نحو أحد الأبراج بدون تفكير وخلفها الآخرون، ومروا بجماعة من هواة تسريحات الشعر يرتدون شعرًا مستعارًا على شكل خلية نحل، ويدور فوق رأس كل منهم سرب من النحل الطنان، هو في حقيقة الأمر روافع صغيرة جدًا طُليت باللونين الأصفر والأسود.

قال فاوستو: «لم يتقنوا تقليد أزيز النحل»، ولكن تالي لاحظت أن أزياءهم التنكرية أعجبتهم. ولما كان الشرر ينطلق من الألعاب النارية المثبتة بشعر فاوستو، بدأ الحاضرون ينظرون إليه بعيون مستفسرة.

اتصل بيريس من داخل البرج بزين الذي قال له إن الأشقياء موجودون في الطابق العلوي من البرج، فقال بيريس: «كان تخمينك في محله يا شاي».

تكس الأربعة في المصعد الكهربائي ومعهم شخص متنكر في زي جراح وآخر في شكل حيوان التريبوليت البحري المنقرض، ولعبا هوكي مخموران يترنحان بشدة من أثر الخمر، ولا يقويان على الوقوف باعتدال فوق حذائي التزلج الطائرين اللذين كانا يرتديانهما.

ضغطت شاي على كتفي تالي وهي تقول: «تخلصي من هذا القلق الذي يبدو على وجهك يا تالي-وا، لا توجد مشكلة، سوف تفوزين بعضوية الأشقياء، فزين معجب بك.»

ابتسمت تالي ابتسامة مصطنعة، وهي لا تدري إن كانت شاي محقة في ذلك أم لا، فزين يسألها دائمًا عن ماضيها إبان فترة القبح، ولكنه يفعل ذلك مع الجميع، ويستمتع بنهم إلى حكايات الأشقياء باهتمام يبدو في عينيه المبرقشتين بالقطع الذهبية.

ترى أكان زين يظن أن لتالي مكانة خاصة تميزها عن الآخرين؟ من الواضح أن هناك من يظن ذلك، فبينما انغلق باب المصعد لمحت تالي صاحب الزي التنكري الحريري رمادي اللون يندس بخفة وسط الزحام.

الفصل الثالث

المترصّد

كان معظم الأشقياء الآخرين متنكرين كخطابين، وارتدوا قمصاناً مصنوعة من نسيج نُقشت عليه مربعات صغيرة وحشوات داخلية تحت ملابسهم لكي تبدو عضلاتهم كبيرة، وهم يحملون مناشير كهربية زائفة وكئوس الشمبانيا، وهناك من تنكر في زي قصابين، وكذلك تنكر بضعة حاضرين كمدخنين يمسكون بسجائر زائفة صنعوها من قبل، وتنكرت واحدة منهم في زي جلاب وعلقت على كتفها أنشودة طويلة. أما زين المتبحر في التاريخ فقد حضر متنكراً في زي مساعد لأحد الطغاة، ولم يكن زيه التنكري يخلو من ملامح الموضة الحديثة، فهو يرتدي حلة سوداء ضيقة ويلف ذراعه بشريط أحمر بدا رائعاً. وكان زين قد أجرى جراحة تنكيرية جعلت شفثيه رفيعتين ووجنتيه غائرتين، مما جعله يبدو كواحد من عملاء السلطات السرية الخاصة إلى حد ما.

ضحك الجميع على الزي الذي كان بيريس يرتديه، وحاولوا أن يعيدوا إشعال الألعاب النارية المثبتة على رأس فاوستو مرة أخرى، لكنهم لم يفلحوا إلا في إشعال بعض من خصلات شعره، فاحترقت وانبعثت منها رائحة مزعجة. لم يدرك الأشقياء منذ اللحظة الأولى طبيعة الزي التنكري الذي ترتديه تالي وشاي، ولكنهم سرعان ما تراحموا لكي يتحسسوا الألياف الخشنة للسترة المصنوعة يدوياً، وراحوا يسألون تالي هل تسبب لها الحكّة. (كان ذلك صحيحاً، ولكن تالي هزت رأسها بالنفي). وقفت شاي بالقرب من زين لكي تلفت انتباهه إلى الجراحة التجميلية الجديدة التي أجريت لعينيها.

سألته شاي: «ألا تظن أنها تضيف إلى جمالي؟».

قال زين: «يمكنني أن أعطيها خمسين ملي هيلين».

لم يفهم أحد من الأشقياء عبارة زين.
فاستطرد شارحاً: «إن الملي هيلين يساوي قدرًا من الجمال يكفي لإطلاق سفينة واحدة».

ضحك جميع الأشقياء الأكبر سنًا وقالوا: «خمسون ملي هيلين تبدو درجة جيدة جدًا».

ابتسمت شاي، وأضفت كلمات المديح التي قالها زين بريقًا على وجهها يشبه بريق الشمبانيا.

حاولت تالي أن تكون لطيفة ومرحة، ولكنها كلما فكرت في ذلك العميل الخاص صاحب الزى التنكري الرمادي الذي يترصدها كان الدوار يصيبها، وبعد بضع دقائق انسحبت إلى شرفة البرج لكي تملأ رئتيها بالهواء النقي البارد.

هناك كانت بضعة مناطق مشدودة بحبال مثبتة في البرج بدت كأنها أقمار سوداء ضخمة وهي معلقة في السماء. ورأت تالي جماعة هواة المناطيد، وقد أخذوا يطلقون الألعاب النارية الملونة من مقصورة المنطاد تجاه الآخرين، ويضحكون حين تدوي فرقعة السنة اللهب الآمنة في السماء المظلمة، ثم بدأ أحد المناطيد يرتفع، فسقط الحبل الذي يربطه وارطم بالبرج، وأطلق موقده هديرًا عاليًا غطى على الضوضاء المنبعثة من الحفل. ارتفع المنطاد، وبدت شعلة اللهب التي ترفعه كخط رفيع، حتى اختفى تمامًا في المدى. حينئذ دار بخلد تالي أنه لو لم تكن شاي قدمتها إلى الأشقياء، لكانت لتتضم إلى جماعة هواة المناطيد، إنهم يحلقون دائمًا بمناطيدهم ليلاً ويهبطون في أي مكان، ربما تهبط بهم في إحدى الضواحي البعيدة أو ربما خارج المدينة نفسها، فيطلبون إحدى العربات الطائرة لتعيدهم إلى المدينة.

أخذت تالي تحقق من فوق النهر باتجاه الظلام الذي يخيم على مدينة القبحاء، فشعرت أن حدة الدوار الذي برأسها قد خفت كثيرًا. والغريب أن ذكرياتها عن الأيام التي قضتها في البرية مشوشة للغاية، ولكنها تذكر بوضوح كيف كانت تتطلع من نافذة غرفتها في عنب النوم وهي فتاة صغيرة قبيحة لتشاهد الأضواء التي تسطع في مدينة الحسان الجدد وهي تتحرق شوقًا لبلوغ السادسة عشرة. كانت دائمًا تتخيل نفسها هنا في هذا الجانب، تقف في أحد الأبراج العالية والألعاب النارية تنطلق من حولها، وحولها الحسان وقد صارت واحدة منهن.

بالطبع كانت تالي ترتدي في معظم هذه الأحلام ثوب الحفلات الراقصة، وليس ستر صوفية وبنطلونًا من نسيج خشن ووجهها ملطخ بالطين. أمسكت تالي بخيط

من الصوف ينسل من بين نسيج السترة، وتمنت لو أن شاي لم تعثر على هذه السترة الليلة. كانت تالي تريد أن تترك الأيام التي عاشتها في الضباب وراء ظهرها، وأن تنسى تمامًا كل ذكرياتها المتشابكة عن الهروب والاختباء وشعورها بأنها خائنة. كم تكره التطلع في كل دقيقة إلى باب المصعد خوفًا من أن يكون الشخص الذي يرتدي زي السلطات الخاصة الرمادي قد تتبعها إلى هنا. كانت تريد أن تشعر بأنها تنتمي انتماء كاملاً إلى مكان ما، لا أن تظل تنتظر وقوع الكارثة القادمة.

ربما كانت شاي محقة فيما رددته كثيرًا بشأن أن التصويت على انضمام تالي إلى الأشقياء الليلة سيصلح كل شيء، فجماعة الأشقياء من أشد الجماعات ترابطاً في مدينة الحسان الجدد، ويتطلب الانضمام إليها انتخاباً بالتصويت، وما إن يصبح المرء واحداً من الأشقياء حتى تتاح له فرصة التعرف على الأصدقاء وحضور الحفلات والاشتراك في حوارات رائعة، ولن تضطر تالي إلى الهروب مرة أخرى.

العقبة الوحيدة هي أنه لا يستطيع الانضمام إلى هذه الجماعة إلا من كان من البارعين في الحيل أيام القبح، ولديه نوادر عن هذه الخدع بما في ذلك التسلل خفية من عنابر النوم، والتحليق طوال الليل على متن الألواح الطائرة والهروب، فالأشقياء هم مجموعة من الحسان الذين لم ينسوا قط أنهم كانوا يوماً من القباء، ولا يزالون يستمتعون بالمكائد والحيل المشاكسة التي كانت تجعل من مدينة القباء مكاناً جميلاً.

«كم ستعطين هذا المنظر؟» كان هذا صوت زين الذي وجدته بجوارها فجأة يقف بقامته الفارعة التي تصل إلى مترين — وهو أقصى طول للحسان — بزيه الأسود العتيق.

— «ماذا تقصد؟»

— «مائة ملي-هيلين؟ خمسمائة ملي-هيلين؟ أو ربما هيليناً كاملاً؟» أخذت تالي نفساً لكي تهدئ من روعها وهي تنظر إلى النهر الذي يكتنفه الظلام وقالت: «لن أعطيه ولو ملي-هيلين واحداً، فلا تنس أنها مدينة القباء». ضحك زين ضحكة خافتة وقال وهو يسوي خصلة من شعر تالي خلف أذنها: «لا يا تالي-وا، ليس هناك ما يبرر هذه القسوة تجاه أخواتنا وإخواننا القباء الصغار، فليس ذنبهم أنهم ليسوا حسناً مثلك».

— «لست أقصدهم هم، بل المكان، فمدينة القباء سجن». شعرت تالي بأنها ارتكبت خطأً فادحاً، فليس من المناسب أن تردد تعليقات تتسم بكل هذا القدر من الجدية في حفل.

ولكن لم يبد أن زين يعبأ بذلك، وقال: «لقد هربت، أليس كذلك؟»، وأخذ يتحسس النسيج الغريب الذي صنعت منه سترة تالي مثلما فعل الآخرون، ثم أردف: «هل كانت منطقة الضباب أحسن حالاً؟».

لم تدر تالي أكان يريد منها إجابة جادة أم لا، وخشيت أن تقول شيئاً سخيلاً، فإذا ظن زين أن تالي ليست رائعة بما يكفي لتساير حياة الجمال، فسوف تنهمر الأصوات المعارضة على انضمامها مهما كان ما وعدھا به بيريس وشاي.

تطلعت تالي إلى عينيه الذهبيتين اللامعتين اللتين تعكسان أضواء الألعاب النارية مثل المرايا الصغيرة، وشعرت وكأن هناك شيئاً ما خلف عينيه يشدها بقوة إليه، لم يكن هذا الشعور يشبه الانبهار الطبيعي بالجمال، ولكنه شيء آخر — شيء جاد وحقيقي — أشعرها وكأن الحفل قد اختفى من حولهما؛ فلقد كانت حكاياتها عن الضباب دائماً تأسر زين، وقد استمع إليها كلها، ولكن ربما أراد أن يعرف شيئاً آخر.

قالت تالي: «لقد رحلت عشية عيد ميلادي السادس عشر، فلم أهرب من مدينة القبعاء بمعنى الكلمة».

قال زين: «هذا صحيح». وحول نظره عنها واستدار ليتطلع إلى النهر: «كنت تودين أن تهربي من العملية».

— «كنت أبحث عن شاي، وكان عليّ أن أظل قبيحة حتى أعثر عليها».

قال زين: «لكي تنقذيه»، ثم سد عينيه الذهبيتين باتجاهها مرة أخرى: «أكان هذا حقاً كل ما في الأمر؟».

أومأت تالي برأسها وهي تشعر بدوار نتيجة الشمبانيا التي احتستها في الليلة الماضية، أو ربما التي احتستها الليلة، ثم نظرت تالي إلى كأس الشمبانيا الفارغ الذي تمسك به بيدها دون أن تستطيع تحديد كم كأساً أفرغته في جوفها. «كنت مضطرة للقيام بذلك.» أدركت تالي وهي تنطق بهذه الكلمات أن ما تقوله يبدو كذباً.

سألها زين وهو يبتسم بخبث وتهكم: «أكان أمراً صادراً من السلطات الخاصة؟». رفعت تالي حاجبها في اندهاش وهي تتساءل عن طبيعة الحيل التي كان زين يقوم بها عندما كان قبيحاً، فلم يكن زين يحكي كثيراً عن حيله في زمن القبح، ومع أن زين لم يكن يكبرها بكثير فلم يكن مضطراً لإثبات أنه شقي حقيقي؛ ذلك أمر بديهي.

وعلى الرغم مما فعلته الجراحة التنكسية بشفتيه لتبدوا رفيعتين فهو لا يزال وسيماً. لقد نُحتت قسّمات وجهه ببراعة شديدة وكأن الأطباء أرادوا أن يجسدوا فيه أقصى مواصفات الجمال التي حدّتها لجنة شئون الجمال، فعظام وجنتيه حادة وكأنها رءوس سهام تختبئ تحت لحم وجهه، وعندما يبتسم يتقوس حاجباه ويرتفعان على نحو عجيب. اكتشفت تالي فجأة أنه إذا تغير مكان أي من قسّماته ملليمترات قليلة سيكون شكله بشعاً، ومع ذلك لم يكن من الممكن أن يتخيل أحد أنه كان قبيحاً في يوم من الأيام.

سألته تالي: «أذهبت إلى أطلال المدينة القديمة الصدئة من قبل، عندما كنت ... صغيراً؟».

– «كنت أذهب كل ليلة تقريباً، في الشتاء الماضي.»

– «في الشتاء؟»

– «أنا أحب أن أرى أطلال المدينة وهي مكسوة بالثلوج، فهي تضيف نعمة على الحواف الحادة مما يضيف قدراً هائلاً من الهيلينات إلى جمال المنظر.»

– «ياه»، حينها تذكرت تالي كم كان الجو بارداً وهي تقطع البرية في أوائل الخريف. وقالت: «كم يوحي ذلك بالبرودة ... القارسة.»

قال زين: «لم أفلح في إقناع أحد أن يأتي معي»، ثم استطرد قائلاً وقد ضاقت عيناه: «عندما تتحدثين عن الأطلال القديمة لا تذكرين أبداً أنك التقيت بأحد هناك.»

– «التقيت بأحد؟» أغمضت تالي عينيها، إذ شعرت فجأة أنها تفقد توازنها، فمالَت نحو سور الشرفة وأخذت نفساً عميقاً.

قال زين: «نعم، هل التقيت بأحد هناك؟».

انزلقت كأس الشمبانيا الفارغة من يدها وأخذت تتهاوى في الظلام.

تمتم زين وهو يبتسم: «انظري إلى أسفل»، وتناهى إلى سمعهما صوت تهشم الزجاج الذي انطلق من وسط الظلام، وانتشرت من حوله ضحكات من فوجئوا بسقوط الكأس كما تنتشر الموجات الدائرية حول حجر ألقي في الماء، وبدا الصوت بعيداً وكأنه على بعد ألف كيلومتر.

أخذت تالي شهيقاً من الهواء البارد حتى تستعيد توازنها، إذ كانت إنها تشعر بتقلبات شديدة في معدتها. كم من المرح أن تكون بتلك الحالة؛ أن تكون على وشك أن تتقيأ إفطارها بعد احتساء بضع كئوس من الشمبانيا.

همس زين لها: «لا عليك يا تالي، فقط حاولي أن تظلي مرحة وجميلة.»

أدركت تالي كم كان سخيًّا أن يطلب منها أحد أن تظل جميلة ومرحة، ولكنها لاحظت أن نظرات زين إليها صارت أرق، حتى مع ملامحه الجديدة التي أضفتها عليه الجراحة التنكيرية، وكأنه حقًّا يريد أن تستعيد هدوءها.

استدارت تالي وأشاحت بوجهها عن تلك الهوة السحيقة وأمسكت بسور الأمان من خلفها بكلتا يديها. عندئذ خرجت شاي وبيريس إلى الشرفة، وأحاط بتالي جميع أصدقائها الجدد من الأشقياء، فأصبحت تشعر بأن هناك من يحميها، وبالانتماء إلى جماعة، ولكنهم يراقبونهم جيدًا أيضًا، ربما يتوقعون منها شيئًا مميزًا الليلة. قالت تالي: «لم أر أي أحد هناك، كان من المفترض أن يأتي شخص ما، ولكنه لم يأت قط.»

لكن تالي لم تسمع رد زين.

ظهر الشخص الذي يتتبعها مرة أخرى، يقف بلا حراك في البرج المزدحم يحدق فيها، وخُيل إليها أن العينين الברاقنتين المثبتتين على القناع قد تنبهتا لنظراتها للحظات، ولكن ما لبث ذلك الشخص المقنع أن استدار واندس بين المعاطف البيضاء التي يرتديها المتنكرون في زي أعضاء لجنة شئون الجمال، وتوارى عن الأنظار خلف الأوراق الكبيرة التي طُبعت عليها تصميمات الوجوه الخاصة بكل صورة من صور الجمال الرئيسية. ابتعدت تالي عن زين وانطلقت وسط حشود الحاضرين لتقتفي أثر هذا الشخص، ومع أنها تدرك جيدًا أن ما تفعله شيء سخي، فلن تتمكن من استعادة توازنها الليلة إلا إذا عرفت هوية ذلك الشخص؛ فهو أحد أعضاء جماعة الأشقياء؟ أم عميل من عملاء السلطات الخاصة؟ أم واحد من الحسان الجدد الذي لا يعرفها ولا تعرفه؟ عليها أن تكتشف لماذا يلقي أحدهم بعملاء السلطات الخاصة في وجهها.

أخذت تالي تشق طريقها بين أصحاب المعاطف البيضاء بصعوبة، ثم مرت بجماعة يرتدي أفرادها كلهم بذلاً سميكاً جعلت كلاً منهم يبدو بدينًا، وكانت تالي تثب فيما بينهم، فقد جعلتها الحشوات الداخلية الطرية التي يثبتونها فوق بطونهم تلف حول نفسها، وحينما مرت بفريق من لاعبي الهوكي يتأرجحون مثل الصغار فوق أحذية التزلج الزلقة، طرحت معظمهم أرضًا، ولحت من بعيد أمامها قماشًا حريريًّا رمادي اللون وهي تركض، ولكن الزحام شديد، والحاضرون في حركة دائبة، حتى إنها عندما وصلت إلى العمود الرئيسي للبرج، كان صاحب الزي التنكري الرمادي قد اختفى.

عندما نظرت تالي إلى الإشارات الضوئية التي تعلو باب المصعد، لاحظت أن المصعد في طريقه إلى أعلى ولم يكن يهبط، وهذا يعني أن عميل السلطات الخاصة الزائف هذا لا يزال في مكان ما داخل البرج. عندئذ وقع بصرها على الباب المؤدي إلى سلم الطوارئ، فلونه أحمر زاهٍ، وقد ألصقت عليه لافتات تحذيرية تقول إن صفارة إنذار ستنتقل إذا فتحه أحد. تلفتت تالي حولها مرة أخرى، ولكنها لم تر أي أثر للزي التنكري الرمادي. أياً كانت «حقيقة» هذا الشخص فلم يكن أمامه سوى النزول على هذا السلم، فصفارة الإنذار يمكن أن تعطل، لقد قامت هي نفسها بتلك الحيلة ألف مرة عندما كانت قبيحة.

اتجهت تالي إلى المخرج المؤدي إلى باب سلم الطوارئ ويدها ترتعشان. إذا دوت صفارة الإنذار فسيحلق الجميع فيها ويتهايمسون عليها حتى يصل الحراس ويخلون البرج. كم ستكون نهاية رائعة لمستقبلها كواحدة من الأشقياء. قالت بينها وبين نفسها: «ربما هو واحد من الأشقياء». لن تكون شقية حقيقية إذا عجزت عن إطلاق صفارة إنذار من حين لآخر. دفعت تالي الباب فانفتح، ولكنه لم يحدث صوتاً.

توجهت تالي إلى بئر السلم، وانغلق الباب من ورائها فأخمد صخب الحفل، وفي الهدوء المفاجئ شعرت بقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها، وسمعت صوت أنفاسها المتقطعة من أثر المطاردة، وشعرت بإيقاعات الموسيقى تتسرب من فتحة الباب السفلية لتهتز الأرضية الإسمنتية من تحتها.

كان صاحب الزي التنكري الرمادي جالساً على السلم، في موضع أعلى من مكانها ببضع درجات، وقال: «لقد تمكنت من الوصول». إنه صوت فتى، لكنه غير واضح خلف القناع.

- «الوصول أين؟ إلى هذا الحفل؟»
- «لا يا تالي، أقصد إلى هنا من الباب.»
- «لم يكن مغلقاً.» قالت وهي تحديق في الجوهرتين اللتين تغطيان فتحتي العينين في القناع محاولة التعرف على هويته: «من أنت؟».
- «ألا تعرفيني؟» وفي صوته حيرة حقيقية وكأنه صديق قديم اعتاد على ارتداء القناع طوال الوقت. «كيف أبدو لك؟»
- ابتلعت تالي ريقها وقالت بصوت ضعيف: «كعملاء السلطات الخاصة».

- «جيد أنك لا تزالين تتذكرين.» أحست تالي من صوته أنه يبتسم وهو يرد عليها، إنه يتحدث ببطء وحذر وكأنه يخاطب شخصاً غيباً.
- «بالطبع أتذكر، أأنت واحد منهم؟ هل أعرفك؟» لم تكن تالي تتذكر عميلاً بعينه من عملاء السلطات الخاصة، فقد كانت وجوههم جميعاً تصب في وجه واحد مشوش الملامح، وجه جميل عليه مسحة من القسوة.
- «لماذا لا تنظري بنفسك؟» لم يأت بأية حركة لكي يخلع قناعه، «هيا يا تالي.» أدركت تالي فجأة طبيعة الموقف، فكل ما حدث — بدءاً من تعرفها على مغزى الزي التنكري الرمادي ومطاربتها لصاحبه في مكان الحفل، وإقدامها على فتح باب الطوارئ المزود بصفارة إنذار — كان اختباراً؛ نوعاً من التجنيد. كان يجلس وهو يتساءل هل ستجرؤ تالي على نزع القناع من وجهه أم لا.
- ولكن تالي سئمت من الاختبارات فردت عليه: «فقط ابتعد عني.»
- «تالي ...»
- «أنا لا أريد أن أعمل لحساب السلطات الخاصة، أنا أريد فقط أن أعيش هنا في مدينة الحسان الجدد.»
- «أنا لست ...»
- صاحت تالي وهي تلوح بقبضتيها: «دعني وشأني!»، ورددت الجدران الإسمنتية أصداء صيحتها، ثم ساد الصمت لحظة وكأن تلك الصيحة قد فاجأتها، حيث كانت موسيقى الحفل تنساب إلى بئر السلم ضعيفة وخافتة.
- وفي آخر الأمر انطلقت تنهيدة من وراء القناع، ورفع صاحب القناع محفظة صغيرة من الجلد وقال: «لدي شيء يخصك إذا كنت مستعدة له، أتريدينه يا تالي؟.»
- «أنا لا أريد أي شيء من ...» حينئذ خفت صوت تالي شيئاً فشيئاً ثم صمتت تماماً؛ فقد تناهت إلى سمعها أصوات خافتة لوقع أقدام آتية من أسفل، لم تكن أصواتاً آتية من الحفل، ولكن هناك من يصعد السلم.
- تحرك الاثنان في وقت واحد، وأطلا برأسيهما من فوق سور السلم وتطلعا إلى أسفل بئر السلم الضيق، من بعيد لمحت تالي قماشاً حريراً رمادياً، وأيدي تمسك بسور السلم، إنهم ستة أشخاص يصعدون درجات السلم بسرعة رهيبة، ولا يكاد صوت أقدامهم يعلو على صوت الموسيقى المكتوم.
- قال الفتى المقلع وهو يهب واقفاً: «أراك فيما بعد.»

أغمضت تالي عينيها وفتحتهما في حيرة. ودفعها المقنع جانباً إذ أفزعته مرأى عملاء السلطات الخاصة الحقيقيين. من يكون هو إذن؟ وقبل أن يضع أصابعه على مقبض الباب انتزعت تالي القناع من فوق وجهه. إنه قبيح، إنه حقاً من القبحاء.

لم يكن وجهه يشبه على الإطلاق الأقنعة التنكرية التي يرتديها من تنكروا في هيئة أشخاص بدناء بأنوف كبيرة وأعين مصابة بالحوادث. ولم تكن القسّمات الضخمة فقط هي ما أظهرته مختلفاً، فكل شيء فيه يعطي هذا الانطباع، وكأنه خلق من مادة أخرى تماماً. ولما كانت تالي تمتلك قوة إبصار فائقة باعتبارها واحدة من الجسّان، تمكنت من رؤية كل الثقوب في وجهه، والتشابكات العشوائية في شعره، وعدم تناسق قسّمات وجهه. اقشعر جلدّها لمراى عيوبه، ولحيته غير المشذبة، وأسنانه التي لم يقوم اعوجاجها بالجراحة، والبثور المنتشرة فوق جبهته. أحست أنها تريد أن تبتعد عنه، وعن «قبحه» بكل ما فيه من قذارة واعتلال صحي وحظ عاثر.

لكنها عرفت اسمه بطريقة ما ...

وسألت: «أأنت كروي؟»

الفصل الرابع

تالي تسقط

قال كرؤي وهو ينتزع القناع ويعيده إلى وجهه: «فيما بعد يا تالي»، ثم فتح الباب بعنف، فاندفع صخب الحفل إلى برّ السلم وخرج كروي منه مسرعاً، واختفى وسط الزحام بزيه التنكري الرمادي.

ظلت تالي واقفة في مكانها والباب ينغلق مرة أخرى، إذ سمرتها الدهشة في مكانها. لقد كانت ذكرياتها عن القبح مغلوطة تماماً، مثلها مثل ذكرياتها عن سترتها القديمة المصنوعة من الصوف، فوجه كروي أسوأ بكثير من الصورة التي في ذهنها عن سكان الضباب؛ ابتسامته المعوجة، وعيناه الباهتتان، والعلامات الحمراء النارية التي أحدثها ضغط القناع على بشرته المبللة بالعرق ...

وفي تلك اللحظة انغلق الباب بعنف، وسمعت تالي وسط الأصداء وقع الأقدام التي لا تزال تصعد السلم باتجاهها، فعملاء السلطات الخاصة الحقيقيون في طريقهم إليها، ولأول مرة منذ بداية اليوم تخطر لها فكرة واضحة.

«اهربي.»

فتحت تالي الباب واندفعت وسط الزحام.

انفتح باب المصعد فدخلته تالي ووجدت نفسها بجوار جماعة من محبي الطبيعة متنكرين في هيئة أشجار تكسوها الأوراق الجافة في آخر أيام الخريف، وأخذت تتساقط منهم الأوراق الجافة الصفراء والحمراء على الأرض وهي تندس بينهم. وكادت تالي تهوي على الأرضية اللزجة من أثر الشمبانيا المراقبة، ولكنها تمكنت أن تحافظ على توازنها، ثم لمحت الزي التنكري الرمادي مرة أخرى.

كروي يتجه إلى الشرفة حيث يقف الأشقياء.

انطلقت تالي وراءه بسرعة البرق، فلم تكن تريد أن يتتبعها أحد ويخيفها في الحفلات ويعبث بذكرياتها، وهي في أمس الحاجة إلى الظهور أمام الجميع

كفتاة لطيفة ومرحة، كان عليها أن تلحق بكروي وتخبره ألا يتتبعها أبداً بعد ذلك.

هذه ليست مدينة القبحاء ولا منطقة الضباب، وليس من حقه أن يكون موجوداً هنا، ولا يجوز له أن يطل عليها هكذا من ماضيها القبيح.

وركضت تالي لسبب آخر؛ وهو عملاء السلطات السرية، فيكفي أن تلمحهم حتى تنتفض كل خلية في جسدها، فهي تشعر بنفور شديد حينما تراهم يتحركون بسرعة تفوق سرعة البشر، وهو شعور أشبه بالنفور الذي يحس به المرء عند رؤية صرصار يركض هارباً فوق صحن. ربما بدت حركات كروي غير معتادة، وثقته التي اكتسبها من مدينة الضباب شاذة في حفل يعج بالحسان الجدد، لكن عملاء السلطات الخاصة نوع مختلف تماماً.

ما إن اندفعت تالي إلى الشرفة حتى رأت كروي وهو يقفز ليقف فوق السور ملوحاً بذراعيه في الهواء وللحظات كان فيها على وشك السقوط، ثم استعاد توازنه وثنى ركبتيه وانطلق في ظلمة الليل.

أسرعت تالي نحو المكان الذي كان كروي يقف فيه وانحنت فوق السور، فرأت كروي يهوي إلى أسفل حتى غاب عن نظرها وابتلعه الظلام. وبعد لحظة شعرت فيها تالي بإعياء، ظهر كروي مرة أخرى وهو منقلب رأساً على عقب، وكانت أضواء الألعاب النارية تنعكس على زيه الحريري الرمادي وهو يثب في الهواء باتجاه النهر.

وقف زين بجانبها ينظر إلى أسفل وتتمتم: «لم يرد في الدعوة شيء عن ضرورة ارتداء سترات القفز المطاطية، من كان ذلك الشخص يا تالي؟». فتحت تالي فمها لتقول شيئاً، لكن صفارة الإنذار انطلقت.

استدارت تالي فرأت جموع الحاضرين تتفرق، ففرقة السلطات الخاصة تندفع من باب برّ سلم الطوارئ وأفرادها يشقون طريقهم وسط جموع الحسان الجدد الذين أصابهم الارتباك. فلم تكن الوجوه القاسية التي يحملونها أقنعة تنكرية بل حقيقة واقعة شأنها شأن وجه كروي القبيح، تصيب من ينظر إليها بالاشمئزاز. سرت رجفة في جسد تالي حينما رأت الأعين التي تشبه أعين الذئاب، إنهم يتقدمون بسرعة رهيبة تذكرها بسرعة الفهود التي تطارد فريستها، كل هذا جعل جسدها يلح عليها أن تواصل الركض.

وعلى الجانب الآخر من الشرفة رأت بريس يقف متجمداً قرب السور، وقد روعه هول المنظر. أخيراً انطلقت الأضواء المتوهجة من ألعا به النارية الآمنة، ولكن مؤشـر الضوء الصغير المثبت بياقة سترة القفز التي يرتديها كان يشع ضوءاً أخضر.

اندفعت تالي تجاهه تشق طريقها وسط الأشقياء، وهي تحسب الزوايا لتعرف اللحظة المناسبة للقفز. بدا لها العالم للحظة واضحاً على نحو غريب، وكأن وجه كروي القبيح ووجوه عملاء السلطات الخاصة التي تجمع بين الجمال والقسوة قد أزالا حاجزاً كان يحول بينها وبين العالم. بدا كل شيء واضحاً وغير مستساغ وبدأت تفاصيل الأشياء حادة جداً حتى إنها اضطرت لأن تضيق عينيها وكأنها تندفع وسط رياح قارسة البرودة.

قفزت تالي واستقرت أمام بريس تماماً وطوقت كتفيه بذراعيها، فرفعتهما قوة الدفع الناتجة عن تلك القفزة فوق سور الشرفة، وسقطا في الظلام، واشتعل الزي التنكري الذي يرتديه بريس مرة أخيرة في الرياح وهما يهبطان معاً، وكان الشرر الآمن يرتد من فوق وجهها بارداً مثل الرقائق الثلجية.

أخذ بريس يضحك تارة ويصرخ تارة أخرى، وكأنه ضحية مكيدة ضايقته ولكنها في الوقت ذاته أنعشته، وكأن شخصاً سكب وعاءً من الماء البارد فوق رأسه. وبينما كانا يسقطان أدركت تالي أن سترة القفز المطاطية قد لا تحملهما معاً. شددت تالي قبضتيها على كتفي بريس، وسمعت بريس يطلق صيحة مكتومة حينما بدأت الروافع تعمل، فرفعت السترة المطاطية بريس حتى أصبح في وضع عمودي، مما تسبب في شعور تالي بأن كتفيها ستخلعان. فلا تزال عضلات تالي قوية بفضل أسابيع من العمل اليدوي في منطقة الضباب، وقد زادت قوة العضلات بفعل عملية التحول الجراحية، ولكنها مع كل ذلك لم تستطع أن تحافظ على إحكام قبضتها حول كتفي بريس والسترة تمتص سرعة سقوطهما؛ فقد انزلق ذراعاها إلى أسفل حتى التفتا حول خصر بريس، وعلقت أصابعها بأحزمة السترة مما آلمها كثيراً.

توقفا فجأة عن السقوط، ولامست قدما تالي الحشائش الخضراء، ففكت ذراعيها من حول خصر بريس.

حينئذ ارتفعت السترة ببريس مرة أخرى في الهواء، وأصابـت ركبـتاه جبهة تالي فعادت ترتفع في الظلام وهي تترنح، ثم فقدت توازنها وسقطت فوق كومة من أوراق الأشجار الجافة الهشة.

ظلت تالي لحظة بلا حراك، ورائحة الطين والعطن تفوح من كومة الأوراق تلك، مثل شيء متهاك. رمشت تالي بعينيها، فقد شعرت بشيء يسيل داخل إحداهما، ربما كانت السماء تمطر.

نظرت إلى أعلى نحو برج الاحتفالات والمناطيد البعيدة، وهي تغمض عينيها وتفتحهما وتلهث، وتمكنت من تمييز بعض الأشخاص الذين يطلون براءوسهم إلى أسفل من الشرفة المنيرة الموجودة بالطابق العاشر، وتساءلت هل أي منهم من عملاء السلطات الخاصة.

لم تر بيريس في أي مكان حولها، وتذكرت القفز بالسترة المطاطية حين كانت من القباء، إذ كانت تلك السترات المطاطية تتيح للمرء الهبوط من المنحدرات. لا بد أن بيريس هبط الآن باتجاه النهر ليلحق كروي.

كروي، كانت تريد أن تقول له شيئاً ...

نهضت تالي بمشقة على قدميها ثم وقفت في مواجهة النهر، وشعرت برأسها ينبض بقوة، لكن الصورة الواضحة للعالم من حولها التي رأتها حينما ألقت بنفسها من الشرفة لم تكن قد خبت. خفق قلبها بعنف حينما انطلقت عاصفة من الألعاب النارية وأضاءت السماء، وألقت بضوء وردي وظلال خاطفة على الأشجار، فبدت الحشائش واضحة تمام الوضوح.

شعرت بأن كل شيء من حولها يبدو على حقيقته؛ شعورها بالاشمئزاز الشديد تجاه وجه كروي القبيح، وشعورها بالخوف من السلطات الخاصة، والأشكال والروائح من حولها، لقد شعرت وكأن غشاوة بلاستيكية رقيقة قد زالت من فوق عينيها، فأصبحت ترى العالم من حولها واضحاً بأدق التفاصيل.

أخذت تالي تهبط التل ركضاً باتجاه مدينة القباء التي يلفها الظلام، وصفحة ماء النهر التي تنعكس عليها الأشياء كالمرآة، وصاحت بصوت عالٍ: «كروي!»

حينئذ خبت الأضواء التي خلفتها الألعاب النارية من السماء والتي كانت على هيئة زهرة وردية، فتعثرت تالي في بعض الجذور المتعرجة لشجرة عتيقة وتوقفت. وكان ثمة شيء ينساب فوقها قادماً من الظلام.

وظهرت مجموعة متفرقة من البقع الخضراء في مجال رؤيتها من أثر الألعاب

النارية، وسألت: «أهو أنت يا كروي؟»

– «إنك لا تيأسين، أليس كذلك؟»

كان كروي بوجه بدا عليه الرضا واقفاً على أحد الألواح الطائرة على بعد متر من الأرض مباعداً بين قدميه لكي يحافظ على توازنه. وكان قد استبدل ملابس فاحمة السواد بملابسه الحريرية الرمادية، وخلع قناعه الذي يحمل ملامح جميلة مشربة بالقسوة، وكان وراءه شخصان يرتديان ملابس سوداء يركبان على لوحين آخرين، إنهما من القبحاء الأصغر سناً، يرتديان الزي الخاص بعنابر النوم في مدينة القبحاء وقد بدا عليهما التوتر.

«أردت أن ...» وبدأ صوت تالي يخفت شيئاً فشيئاً ثم توقفت عن الكلام. لقد تتبعت له: «ارحل، دعني وشأني، ولا تأت مرة أخرى»؛ لقد تتبعت له لكي تصرخ في وجهه، لكن كل شيء أصبح واضحاً بشدة ... وأصبح كل منهما الآن هو التمسك بهذه الصورة الواضحة، وأدركت على نحو ما أن اقتحام كروي لعالمها جزء من ذلك.

قال واحد من القبيحين الأصغر سناً: «كروي، إنهم قادمون».

سألها كروي بلهجة هادئة: «ماذا كنت تريدان يا تالي؟».

أغمضت تالي عينيها وفتحتهما مرة أخرى، إذ شعرت بالحيرة وخشيت أن تقول شيئاً غير مناسب يؤدي إلى زوال الوضوح، ويعود الستار ليسدل من جديد بينها وبين العالم من حولها.

تذكرت تالي ما عرضه عليها حينما كانت معه في بئر السلم.

– «كان لديك شيء تود أن تعطيني إياه، أليس كذلك؟»

ابتسم كروي، وأخرج المحفظة الجلدية من حزامه وهو يقول: «هذا؟ نعم، أظن أنك مستعدة له. لكن هناك مشكلة واحدة فقط، من الأفضل ألا تأخذينه مني الآن، فالحراس قادمون، وربما السلطات الخاصة».

رد عليه الفتى القبيح المتوتر متذمراً: «نعم، في عشر ثوان تقريباً».

ولكن كروي تجاهله وواصل حديثه: «ولكننا سنتركه لك في فالانتينو ٣١٧».

أيمكنك أن تتذكرني ذلك؟ فالانتينو ٣١٧».

أومأت تالي برأسها، ثم أغمضت عينيها وفتحتهما، وشعرت بدوار.

قطب كروي حاجبيه وقال: «أتمنى ذلك»، ثم أدار لوحه الطائر إلى الاتجاه الآخر في حركة رشيقة واحدة، وقلده الفتیان القبيحان، وقبل أن يرحل أردف قائلاً: «أراك لاحقاً. يؤسفني ما حدث لعينك».

اندفع الثلاثة تجاه النهر في سرعة البرق، وذهب كل منهم في اتجاه حتى اختفوا في الظلام.

سألت تالي بصوت ضعيف: «ما حدث لعيني؟». ووجدت نفسها تغمض عينيها وتفتحها مرة أخرى، وأحست بأن رؤيتها أصبحت مشوشة، ورفعت يدها لتتحسس جبهتها فعلق شيء لزج بأصابعها، وأخذت المزيد من البقع الداكنة تتقاطر في كفها وهي تحملق فيها مذهولة. وفي آخر الأمر شعرت بالألم؛ شعرت بخفقان في رأسها يتزامن مع دقات قلبها. لا بد أن جبهتها قد أصيبت حينما ارتطمت بركبة بيريس. وأخذت تتنبح بأصابعها خطأً من الدماء يتقاطر حول حاجبها ويسيل على خدها ساخناً كالدموع. جلست تالي على العشب، وشعرت فجأة برجفة تسري في جسدها كله. حينئذ أضاءت الألعاب النارية السماء مرة أخرى، فبدت الدماء على يدها حمراء زاهية، وتحولت كل قطرة منها إلى مرآة تعكس أضواء الانفجار التي تلتهم فوق رأسها، وامتلات السماء في تلك اللحظة بالكثير من العربات الطائرة. وبينما كانت قطرات الدماء تسيل على وجهها شعرت بأن شيئاً ينزلق من بين يديها؛ شيئاً تريد أن تحتفظ به ...

– «تالي!»

رفعت تالي رأسها فرأت بيريس يتسلق التل وهو يضحك ضحكة خافتة. – «لم تكن تلك حركة لطيفة يا تالي-وا؛ كاد المطاف ينتهي بي في النهر!» وأخذ يقلد حركات من يوشك على الغرق، فراح يضرب المياه بذراعيه، ويهبط برأسه تحت المياه.

أعجبها تمثيله ووجدت نفسها تضحك، فما دام بيريس معها فهي تشعر أن كل شيء يصير لطيفاً ومرحاً، حتى تلك الرعدة الغريبة التي تسري في جسدها. قالت له: «ما المشكلة؟ ألا تستطيع أن تسبح؟».

ضحك بيريس وهبط بجانبها على العشب الطري وهو يحاول التملص من أربطة السترة المطاطية: «أنا لا أرتدي الملابس المناسبة للسباحة». وأخذ يدلك إحدى كتفيه وهو يقول: «وأيضاً ... أه! إنهما يؤلمانني، لقد تعلقت بهما ونحن نهبط». حاولت تالي أن تتذكر سبب إعجابها بفكرة القفز من شرفة البرج، ولكن منظر دمائها وهي تنزف جعلها شاردة الذهن، وصار كل همها هو أن تخلص إلى النوم، فقد بدا كل شيء واضحاً وقاسياً. وقالت له: «أنا آسفة».

رد بريس: «فقط نبهيني في المرة القادمة». حينئذ انطلقت أضواء الألعاب النارية فوقهما، ونظر بريس إليها وهو يضيق عينيه، واكتست ملامح وجهه الجميل بالحيرة وهو يسألها: «ما هذا الدم؟».

– «آه، نعم. اصطدمت ركبتك بي وأنت تثب في الهواء. أليس هذا سخيًّا؟»
– «إنه ليس لطيفًا على الإطلاق.» ثم مد بريس يده إلى ذراعها وضغط عليه برفق وقال: «لا تقلقي يا تالي، سوف أبعث برسالة لإحضار إحدى العربات الطائرة، فهناك الكثير منها بالخارج الليلة».

غير أن عربة كانت في الطريق إليهما بالفعل، ومرت في هدوء من فوقهما وهي تطلق أضواءً ألقت بوميض أحمر على العشب من حولهما، وتمكنت العربة الطائرة من رصدهما بالأضواء الكاشفة. تنهدت تالي وهي تتخلص من ذلك الشعور بالوضوح الشديد الذي أهرق ذهنها. لقد أدركت الآن لماذا كان هذا اليوم سخيًّا ومجهَّدًا، فقد أجهدت نفسها أكثر من اللازم، كان القلق يساورها من نتيجة تصويت الأصدقاء، وفكرت كثيرًا في الأزياء التنكرية التي سترتيديها، وكل هذه الأشياء جادة أكثر منها مريحة، فلا عجب إذن أن مقتحمي الحفل قد دفعوا بها إلى حافة الجنون.

ضحكت تالي؛ لقد دفعوا بها فعلاً إلى الحافة؛ حافة الشرفة.

ولكن كل شيء على ما يرام الآن، بعد أن رحلت الوجوه القبيحة والوجوه الجميلة قاسية الملامح، وبريس موجود بجوارها ليعتني بها، أحست تالي بأن شعورًا بالراحة يغمرها. كم كان غريبًا أن تصاب بالشroud للحظة بعد أن ارتطمت رأسها بركبة بريس، حتى إنها تحدثت مع هؤلاء القباء وكأنهم مهمون.

هبطت العربة الطائرة بالقرب منهما، وقفز منها حارسان يحمل أحدهما صندوق الإسعافات الأولية في يده، واتجها إليهما. خطر لتالي أن تطلب من الحارسان وهم يضمدان جرح رأسها أن يجريا لها جراحة تجميلية بعينها مثل جراحة شاي؛ ليس مثلها تمامًا فذلك سيكون سخيًّا، ولكن واحدة على شاكلتها.

رفعت تالي عينيها إلى وجهي الحارسين، إنهما من الحسان القدامى كبار السن، والهدوء والحكمة يكسيان وجهيهما، وتبدو عليهما البراعة. وكانت أمارات الاهتمام التي بدت عليهما لتخففا من إحساسها بالحرج من منظر الدماء التي تغطي وجهها. اصطحبها الحارسان برفق إلى العربة ورشًا طبقة جديدة من الجلد فوق الجرح، وأعطياها قرصًا مضادًا للتورم، وعندما استفسرت عن الكدمات ضحكا وأخبراها أن العملية التي أجريها تكفلت بذلك، فالحسان لا يمكن أن تظهر عليهم الكدمات أبدًا.

وكانت تالي قد خضعت لاختبار للأعصاب، لأن الجرح كان برأسها؛ حينما حرك الحارسان مؤشراً مضيئاً بضوء أحمر إلى الأمام والخلف على رأسها وهما يتتبعان المستقبلات الإلكترونية الموجودة بحدقتي عيني تالي. وعلى الرغم من أنه لم يبد الاختبار متطوراً، فالحارسان قالوا إنه أثبت أن تالي لا تعاني ارتجاجاً أو تلفاً بأنسجة المخ. وحكى بيريس آنذاك عن حادثة تعرض لها عندما اصطدم بباب زجاجي في قصر ليليان راسل وهو يسير، فكان عليه أن يظل مستيقظاً طوال الوقت أو يموت، وضحكوا جميعاً من هذه القصة.

وجه الحارسان بعد ذلك بضعة أسئلة إلى تالي وبيريس حول الفتیان القبء الذين دبوا خدعة وعبروا النهر في تلك الليلة، وسببوا كل هذه المشاكل. «أتعرفان أي شخص منهم؟»

تنهدت تالي غير راغبة في التورط في هذا الأمر، فسوف يكون الوضع مخجلاً جداً لها إذا تبين أنها هي السبب الذي دفع هؤلاء الفتیان القبء إلى اقتحام الحفل الليلة، لكن سألها من الحسان القدامى، وليس من المقبول أن يتجاهلهم المرء؛ إنهم دائماً يعرفون عملهم جيداً، ومن السخف والحماسة أن يحاول أحد أن يكذب عليهم وهو ينظر مباشرة إلى وجوههم الهادئة الحازمة.

– «نعم، أظن أنني تذكرت واحداً منهم يدعى كروي.»

– «لقد أتى من الضباب، أليس كذلك يا تالي؟»

أومأت تالي برأسها، وهي تشعر أنها تبدو خرقاء وهي ترتدي السترة المتسخة المصنوعة في الضباب والملطخة بالدم. إنه خطأ القائمين على قصر فالانتينو حين غيروا قواعد الملابس؛ فليس هناك أسخف من أن يظل المرء مرتدياً ملابسه التنكرية بعد أن يغادر الحفل.

– «أتعرفين ماذا كان يريد يا تالي؟ ولماذا جاء إلى هنا؟»

نظرت تالي إلى بيريس لكي يساعدها، إذ كان يتابع كل كلمة تقولها باهتمام شديد، وعيناه اللامعتان تتسعان في إعجاب، مما أشعرها بأنها من الشخصيات المهمة.

هزت تالي كتفها وهي تقول: «إنها حيل القبء ليس إلا، ربما أراد أن يتباهى أمام أصدقائه». وبدا تبريرها هذا سخيلاً، فكروي لا يعيش في مدينة القبء، فهو ممن يقيمون في منطقة الضباب، من البرية الموجودة بين المدن. ربما لم يكن الفتیان اللذان قدما معه سوى اثنين من فتیان المدينة من هواة الحيل والمكائد، لكن كروي كان يتصرف بالتأكيد وفق خطة معينة.

غير أن الحارسين ابتسما وأوماً برأسيهما موافقين على كلام تالي: «لا تقلقي، لن يحدث ذلك مرة أخرى، سوف نراقبكما جيداً لنضمن عدم حدوث ذلك». ردت تالي عليهما بابتسامة، واصطحبها إلى منزلها.

عندما وصلت تالي إلى غرفتها وجدت رسالة من بيريس الذي عاد مرة أخرى إلى الحفل.

صرخ بيريس بصوت عالٍ: «خمني ماذا حدث؟» وعلت أصوات الحاضرين والموسيقى على صوته، مما جعل تالي تتمنى العودة إلى الحفل، بالرغم من البشرة الجديدة المرشوشة فوق جبهتها.

قطبت تالي جبينها، وارتمت على الفراش وبيريس يواصل رسالته: «عندما عدت إلى الحفل، وجدت أن الأشقياء صوتوا! لقد راقت لهم فكرة وجود عملاء السلطات الخاصة الحقيقيين في الحفل، وقد أعطى زين قفرتنا من البرج ستمائة-ملي هيلين! ولذلك أصبحت من الأشقياء! أراك غداً. لا تزيли الندبة التي على جبهتك حتى يراها الجميع. خير صديقين إلى الأبد!»

انتهت الرسالة، وشعرت تالي بأن الفراش يدور بها بعض الشيء. أغمضت تالي عينيها وببطء أطلقت تنهيدة طويلة تنم عن الارتياح. أخيراً أصبحت تالي واحدة من الأشقياء حقاً، ونالت كل ما طمحت إليه، فقد صارت حسناء تعيش في مدينة الحسان الجدد مع بيريس وشاي وعشرات من الأصدقاء الجدد، وتبخرت جميع المشاكل ولحظات الرعب التي عاشتها في السنة الماضية مثل الهروب إلى منطقة الضباب، وتحمل الظروف القاسية للعيش هناك وسط أطلال ما قبل العصر القديم، والعودة مرة أخرى إلى المدينة عبر القفار؛ انتهى كل ذلك نهاية سعيدة.

كان ذلك الإحساس رائعاً، ولكن تالي مرهقة للغاية، حتى إنها ظلت للحظة عاجزة عن أن تصدق ما حدث، وأعادت الاستماع إلى الرسالة التي بعثها بيريس إليها بضع مرات، ثم خلعت سترتها ذات الرائحة الكريهة ويداها ترتعشان ثم ألقت بها في ركن الغرفة. سوف «تأمر» الكوة الذكية غداً بإعادة تدويرها.

استلقت تالي على ظهرها وظلت برهة تحلق في السقف، ووصلت رسالة من شاي، لكن تالي تجاهلتها، وضبطت خاتم الاتصال الخاص بها على وضع النوم. مع أن كل شيء كان مثاليًا ورائعًا، فقد بدا الواقع واهياً بطريقة ما، وكأن مستقبلها كحسنة يمكن أن تقضي عليه أدنى مشكلة. كل شيء من حولها — الفراش الذي

تستلقي فوقه وقصر كوماشي، وحتى المدينة من حولها — يبدو واهياً مثل فقاعة صابون فارغة ترتعش في الهواء.

ربما كانت تلك الخبطة التي تلقتها على رأسها هي التي سببت لها حالة الشرود الذهني الغريبة التي تتوارى خلف فرحتها. كل ما تحتاجه هو قسط وفير من النوم الليلة على أمل ألا تستيقظ في الغد وهي تعاني صداماً نتيجة الإسراف في الشراب، وعندها ستشعر بأن كل شيء في حياتها حقيقي ومثالي.

خلدت تالي إلى النوم بعد بضع دقائق، وهي راضية لأنها أخيراً أصبحت واحدة من الأشقياء.

ولكن أحلامها كانت سخيفة للغاية.

الفصل الخامس

زين

كانت هناك أميرة جميلة.

محبوسة في برج عالٍ ذي جدران حجرية غرفه الفارغة الباردة لا تتكلم. لم يكن هناك مصعد أو حتى سلم للحريق، ولذلك لم تدرِ تالي كيف صعدت الأميرة إلى البرج.

لكنها كانت واقفة على قمة البرج بلا سترة قفز مطاطية، وهي مستغرقة في نوم عميق.

كان هناك تنين يحرس البرج، تزين عينيه قطع من الجواهر، وملامحه قاسية ومتوحشة، وكان يتحرك حركات وحشية فجائية، مما أشعر تالي بتقلصات شديدة في معدتها. تعرفت تالي — مع أنها تحلم — على ما يرمز إليه التنين؛ إنه أحد أصحاب الوجوه الجميلة القاسية؛ أحد عملاء السلطات الخاصة، أو ربما مجموعة منهم تجمعوا في أفعى واحدة لها حراشف رمادية من الحرير. ولا يمكن أن يخلو حلم كهذا من أمير.

نجح الأمير في الإفلات من التنين، ولم يجسر على ذبحه بل تسلل بجواره باحثاً عن شقوق في الجدار الحجري العتيق يثبت أصابعه فيها، فالجدار عتيق ومتهالك، وتسلق البرج الشاهق بسهولة، ونظر وهو يبتسم إلى أسفل حيث كانت التنين الذي ألهمته مجموعة من الجرذان العابثة وهي تلهو بين مخالبه.

دخل الأمير إلى غرفة الأميرة من النافذة الحجرية الموجودة أعلى البرج، وقبل الأميرة، فاستيقظت من نومها، وانتهت القصة عند ذلك، واتضح أن النزول والمروءة بجوار التنين لم يكن أمراً صعباً، فهذا حلم وليس فيلماً سينمائياً أو حتى حكاية خيالية، وانتهى كل شيء بقبلة حارة؛ نهاية تقليدية سعيدة.

فيما عدا شيئاً واحداً ...
أن الأمير قبيح للغاية.

استيقظت تالي وهي تشعر بخفقان في رأسها.
وحيثما رأت صورتها على الجدار العاكس تذكرت أن الآلام التي تشعر بها ليست صداً نتيجة الإفراط في الشراب فقط، واكتشفت أن تلك الخبطة التي تلقتها على رأسها ليست شيئاً جميلاً. أصبح الجلد الذي رشه الحارسان أعلى عينها شديد الاحمرار، تماماً كما أخبرها الحارسان بالأمس، وستضطر إلى التوجه إلى أي مكتب جراحي حتى تزيل آثار تلك الندبة تماماً.

ولكن تالي قررت ألا تعالجها الآن، فهي تضيف طابعاً شقيّاً فعلاً مثلما قال بريس. وابتسمت عندما تذكرت وضعها الجديد، فأحست عندئذ أن الندبة مناسبة. تلقت تالي كومة من الرسائل من الأشقياء الآخرين؛ أصواتاً ثملة تهنئها بانضمامها إلى الأشقياء، وحكايات عن بعض الأعمال الطائشة التي قام بها البعض أثناء الحفل (ولكن لا شيء يفوق قفزتها من البرج مع بريس). أخذت تالي تستمع إلى الرسائل وهي مغمضة العينين، واستغرقت في صخب الأصوات المتداخلة المسموعة في خلفية أصوات محدثها، وهي تستمتع بقدرتها على التواصل مع الآخرين مع أنها عادت مبكرة إلى البيت، وهذه هي فائدة الانضمام إلى جماعة ما؛ ضمان وجود أصدقاء لنا مهما حدث.

كان زين قد ترك لها ثلاث رسائل يطلب في الرسالة الأخيرة منها أن تتناول الإفطار معه، ولم يبد من صوته أنه ثمل مثل الآخرين، فربما كان مستيقظاً من قبل.

عندما اتصلت به تالي رد عليها: «كيف حالك؟».
قالت تالي: «أفتقد ملامح وجهي الجميلة، هل أخبرك بريس كيف أصيبت رأسي؟».

— «أكنت حقاً تنزفين؟»

— «بغزارة.»

— «يا إلهي.» وجدت تالي زين يتكلم بصوت لاهث، وقد تخلت عنه رباطة جأشه المعتادة. وأضاف: «ولكن قفزتك كانت لطيفة على أية حال. أنا سعيد لأنك نجوت من ... الموت.»

ابتسمت تالي وقالت: «شكراً لك».

– «هل قرأت تلك الأخبار الغريبة عن الحفل؟»

كانت هناك رسالة إخبارية من بين رسائل تالي، ولكنها لم تقو على القراءة.

– «أي أخبار غريبة؟».

– «هناك من اخترق نظام الإرسال الإلكتروني أمس، وأرسل تلك الدعوة الجديدة

التي تسببت في تغيير قواعد الملبس إلى الأزياء التنكرية، وظن أعضاء لجنة الحفلات في فالانتينو أن عضواً آخر هو الفاعل، ولذلك واصلوا ترتيبات الحفل على هذا الأساس،

ولكن لا أحد يعرف من الذي كتب تلك الدعوة. شيء محير، أليس كذلك؟»

أغمضت تالي عينيها وفتحتهما، ففجأة لم تعد معالم الغرفة واضحة، بل بدأت

تشعر بالدوار، وتلك هي الكلمة المناسبة، وخيل إليها أن العالم يدور من حولها

وكأنها داخل معدة مخلوق هائل الحجم في حالة هياج. لا أحد يقدم على ارتكاب

أفعال مثل اختراق أنظمة الإرسال إلا القبحاء، ولم يخطر ببالها أن هناك من يود أن

ينقلب الحفل المقام في قصر فالانتينو إلى حفل تنكري سوى كروي بقناعه الجميل

المشرب بالقسوة وعروضه الغريبة.

ومعنى ذلك أن المسألة كلها تتعلق بتالي يانج بلود.

– «هذا شيء سخيף للغاية يا زين.»

– «بالطبع. هل أنت جائعة؟»

أومأت تالي برأسها، وهي تشعر أنها ستصاب بخفقان في رأسها من جديد.

ومن النافذة بدت أبراج الاحتفالات في قصر جاربو عالية ورفيعة. أخذت تالي تحقق

فيها وكأن ذلك يمكن أن يقلل من شعورها بأن العالم يدور من حولها. لا بد أنها

تبالغ في رد فعلها؛ فليس كل ما حدث من أجلها وحدها، فربما لم يكن الأمر إلا

مكيدة ارتكبها بعض القبحاء بدون هدف، أو ربما فقد أحد أعضاء لجنة الحفلات

في قصر فالانتينو صوابه وفعلها.

ولكن حتى إن كان ما حدث هو خطأ ليس إلا، فلا بد أن كروي قد استعد

بزيه التنكري الرمادي ذاك، فتكنولوجيا الكوة الذكية ليست متاحة في أطلال المدينة

القديمة الصدئة ولا في البرية حيث يختبئ سكان الضباب؛ وعلى المرء هناك أن يصنع

احتياجاته بنفسه، وهو ما يتطلب الوقت والجهد، إلى جانب أن كروي لم يختر زيه

التنكري بدون تفكير ...

تذكرت تالي العينين الباردتين المرصعتين بالجواهر وشعرت أنها ستفقد وعيها.

ربما يساعد الطعام على تحسين حالتها.
- «نعم، أنا جائعة للغاية. لنتناول إفطارنا.»

التقت تالي بزين في حديقة دينزيل بارك، وهي حديقة من حدائق المتعة، تمتد في خط متعرج من وسط مدينة الحسان الجدد حتى قصر فالانتينو، وكان القصر نفسه تحجبه الأشجار، لكن برج الإرسال الموجود أعلى القصر ظاهر، وعلم فالانتينو العتيق يرفرف في الهواء البارد أعلاه. كانت معظم آثار الفوضى التي خلفتها الليلة الماضية قد أزيلت من الحديقة، فيما عدا بقايا سوداء تخلفت عن النيران التي أشعلها بعض هواة الحفلات في الهواء الطلق. وكان هناك عامل صيانة آلي يحلق فوق كومة من الرماد ويقلب التربة فيها مستخدماً مخالفه بحركات دقيقة، ويبذر البذور فوق الأجزاء المحترقة من التربة.

رفعت تالي حاجبها في دهشة (وقد سببت هذه الحركة لها ألماً شديداً) عندما اقترح عليها زين الخروج في نزهة خلوية، ولكن المشي في الهواء الطلق ساعد كثيراً على تصفية ذهنها. أما الأقراص التي أعطاه لها الحارسان فقد سكنت آلام جرحها تماماً، ولكنها لم تغلح في القضاء على شعورها العام بالتشوش. وقد كانت هناك شائعة في مدينة الحسان الجدد تقول إن الأطباء لديهم علاج لآلام الصداع التي تنتج عن الإفراط في الشراب ولكنهم يخفونه عن الآخرين اتباعاً للقواعد. وصل زين في ميعاده، ومن ورائه صينية الإفطار تتمايل برقة مع النسيم العليل، اتسعت عيناه وهو يقترب من تالي عندما رأى الندبة الموجودة على جبهتها، ومد يده وكأنه يريد أن يتحسسها.

قالت تالي: «في غاية السخف، أليس كذلك؟».

أجابها زين وهو يرمقها بعينه المتسعيتين: «بل تليق بالأشقياء».

- «ولكنها لا تستحق الكثير من المليونيرات، أليس كذلك؟»

بدأت أمارات التفكير على زين لبرهة ثم قال: «أنا لن أقيمها بالهليلينات، لكنني لا أعرف مقياساً يمكن أن أستخدمه بدلاً منه. ربما ينبغي أن أستخدم مقياساً أروع». ابتسمت تالي، فقد كان بيريس على حق عندما طلب منها ألا تعالج وجهها في الحال. لقد ازداد زين حسناً بفعل إعجابه بالندبة التي استقرت فوق جبهة تالي، أما التعبير الذي ارتسم على وجهه فقد جعلها تحس بشعور رائع وكأنها محور كل شيء، ولكن دون أن تشعر بأن العالم يدور من حولها.

وكانت الجراحة التنكسية التي قام بها زين قد زال مفعولها، وعادت شفتاه إلى الامتلاء الطبيعي الذي يميز شفاه الحسان، ولكن كان مظهره شديد الحدة في ضوء النهار، وقسمات وجهه شديدة التباين، فعظام ذقنه ووجنتيه حادة، وجبهته واسعة، وبشرته برونزية مثل الجميع، ولكن يبدو لونها في ضوء الشمس شاحباً بعض الشحوب بالمقارنة بشعره الداكن. لم تكن قواعد العملية تسمح بأن يكون لون الشعر فاحم السواد، فقد كانت اللجنة ترى أن ذلك اللون مبالغ فيه للغاية، ولكن زين صبغ شعره باستخدام حبر الكتابة. والأهم من كل ذلك أنه لم يكن يأكل كثيراً، مما حافظ على نحول وجهه وحدة نظراته، ومن بين كل الحسان الذين قابلتهم تالي منذ خضوعها لعملية التحول، كان زين هو الوحيد الذي ينفرد بملامح تميزه عن الآخرين.

ربما كان ذلك هو سبب اختياره قائداً للأشقياء، إذ ينبغي أن يكون المرء مختلفاً عن الجميع حتى يكون شقياً حقيقياً. أخذت عيناه الذهبيتان تومضان وهو يقلبهما في أرجاء الحديقة بحثاً عن مكان يجلس فيه هو وتالي، حتى استقرتا على رقعة تظللها أغصان شجرة بلوط ضخمة.

جلس زين بصحبة تالي فوق الحشائش وأوراق الأشجار، واستنشقت تالي الرائحة المنبعثة من قطرات الندى والتربة الخصبة. استقرت صينية الإفطار بينهما، والدفع ينبعث منها بفعل حرارة العناصر المتوقدة التي تحافظ على سخونة البيض المخفوق وعجينة البطاطس المقلية وتحول دون تراكم كتل دهنية فيهما.

ملأت تالي صحناً ساخناً بالبيض والجبن وشرائح الأفوكادو، ودفعت بنصف كعكة من المافين في فمها. وحينما نظرت إلى زين ولم تر في يده سوى فنجان من القهوة، وخشيت أن يكون الأكل بنهم سلوكاً سخيلاً وغير لائق.

ولكن ما أهمية ذلك؟ فلقد ذكرت تالي نفسها بأنها الآن واحدة من الأشقياء، لقد صوّت الجميع لها وأصبحت رسمياً من الأشقياء، ثم إن زين طلب منها أن يلتقي بها هنا ليستمتعا معاً بوقتتهما. يجب ألا تقلق بعد اليوم بشأن تقبل الآخرين لها، فقد حان الوقت لكي تستمتع بوقتتها، فهناك أشياء أسوأ من الجلوس في حديقة رائعة بصحبة فتى وسيم يتفحصها بعينه مثل زين.

التهمت تالي ما تبقى من كعكة المافين، الساخنة جداً من الداخل والتي تخللتها خيوط متفرقة من الشيكولاتة نصف السائلة، ثم تناولت الشوكة لتتناول البيض. وتمنت أن تجد بعض الأقراص الحارقة للسعرات مع الإفطار، فمفعولها يكون أفضل

عند تناولها بعد الأكل مباشرةً، وهي ستتناول كثيراً من الطعام، فمن الأرجح أن فقد الدماء يُشعر بالجوع.

سألها زين: «من كان ذلك الفتى الذي رأيته في الليلة الماضية؟». لم تستطع تالي أن تتحدث لأنها لا تزال تمضغ طعامها، فاكثفت بهز كتفيها، ولكن زين انتظرها في صبر حتى تبتلع ما في فمها من طعام. ثم أجابته تالي أخيراً: «إنه ليس إلا واحداً من القباء الذين يقتحمون حفلات مدينة الحسان الجدد».

– «لقد خطر ذلك لي. فمن غيرهم تتعقبهم السلطات الخاصة؟ أنا أعني: أكنت تعرفينه؟»

أشاحت تالي بوجهها عنه؛ فمن المخجل أن يجد المرء حياته الماضية تطارده قادمة من زمن القبح وتعبّر النهر حتى تصل إليه، ولكن بيريس سمعها بالأمس وهي تخبر الحارسين عن ذلك، ولذلك سوف تبدو سخيطة إذا حاولت أن تكذب على زين. أجابت: «نعم، أظن أنني كنت أعرفه، من منطقة الضباب، وهو يدعى كروي». ارتسم تعبير غريب على وجه زين، وأخذت عيناه الذهبيتان ترمقان مدى النظر وكأنما تحاولان البحث عن شيء ما، وبعد لحظة أوماً برأسه قائلاً: «أنا أيضاً كنت أعرفه».

تسمرت تالي، وقالت وهي تمسك بالشوكة التي ستضعها في فمها: «لا بد أنك تمزح».

هز زين رأسه نفيًا.

قالت تالي: «ولكنني ظننت أنك لم تهرب قط».

– «لا، لم أهرب.» ضم زين ساقيه إلى جذعه وطوق ركبتيه بذراعه وهو يرتشف رشفة من فنجان القهوة، ثم أردف: «لم أذهب إلى مكان أبعد من أطلال المدينة القديمة على أية حال، ولكننا أنا وكروي كنا صديقين حينما كنا صغاراً، وكنا نسكن في عنبر واحد في مدينة القباء».

قالت تالي: «هذا ... غريب». وتناولت أخيراً قضمة البيض وأخذت تمضغها ببطء. إن هناك مليون شخص يسكنون المدينة، ومن بينهم جميعاً التقى زين بكروي. قالت تالي بصوت منخفض: «ما احتمالية أن يحدث ذلك؟».

هز زين رأسه مرة أخرى وقال: «هذه ليست مصادفة يا تالي-وا».

توقفت تالي عن مضغ البيض، فقد شعرت بطعمه غريباً في فمها، وأحست كأن كل شيء سيدور من حولها مرة أخرى، ففي الآونة الأخيرة أصبحت المصادفات من الأمور النادرة في هذا العالم.

– «ماذا تقصد؟»

انحنى زين إلى الأمام وقال: «تالي، أنت تعرفين أن شاي كانت تسكن في العنبر نفسه الذي كنت أسكن به، أليس كذلك؟ في الماضي عندما كنا من القبحاء». قالت تالي: «بالطبع، وهذا ما مكنها من أن تنضم إليكم بعد أن أتت إلى هنا». توقفت تالي هنيهة، ثم شعرت أن هناك أمراً بدأ يتضح لها ببطء بعد أن غاب عنها، فدائماً تعود إليها ذكريات حياتها في منطقة الضباب ببطء شديد، مثل فقاعات ترتفع في سائل لزج كثيف ...

قالت تالي في حذر: «عندما كنا نقيم في منطقة الضباب عرفتني شاي بكروي؛ كانا صديقين منذ وقت طويل. إذن، أنتم الثلاثة كان يعرف كل منكم الآخر؟». رد عليها زين وقد تقلصت قسما وجهه وكأن هناك شيئاً فاسد المذاق سقط في فنجان قهوته: «نعم، هذا صحيح».

أطرقت تالي برأسها وأخذت تنظر إلى طعامها في حزن، وشعرت في الوقت الذي واصل فيه زين حديثه بأن الليلة الماضية تعيد نفسها، فقد أخذت الأحداث السخيفة التي عايشتها في الصيف الماضي تعود بعنف إلى ذهنها.

قال زين: «كنا ستة نسكن في عنبر واحد، وأسمينا أنفسنا في ذلك الوقت جماعة الأشقياء أيضاً. قمنا بكل الحيل المعهودة التي يقوم بها القبحاء: التسلل إلى الخارج ليلاً، واختراق أنظمة الإشراف الإلكتروني على العنابر، وعبور النهر للتجسس على الحسان الجدد».

أومأت تالي برأسها، فقد تذكرت القصص التي كانت تحكيها لها شاي عما كانت تفعله قبل أن يلتقيا وقالت: «والخروج إلى أطلال المدينة القديمة؟». رد زين: «نعم، بعد أن علمنا بعض القبحاء الأكبر سناً كيف نقوم بذلك»، ثم رفع بصره إلى التل باتجاه المركز الشاهق الذي يتوسط مدينة الحسان الجدد وأضاف: «إن الخروج إلى أطلال المدينة القديمة يجعلك تدركين كم هو كبير هذا العالم، فقد عاش في تلك المدينة القديمة عشرون مليون شخص، ولذلك يعد هذا المكان الذي نعيش فيه ضئيلاً إذا قورن بها».

أغمضت تالي عينيها، ووضعت الشوكة التي تمسك بها على طبقها، فقد شعرت أنها بدأت تفقد شهيتها. ربما لم تكن فكرة تناول الإفطار مع زين فكرة جيدة بعد كل ما حدث الليلة الماضية، ففي بعض الأحيان يبدو لها أنه لا يزال يظن نفسه من القبحاء؛ يحاول أن يظل مرحًا ولطيفًا، ويقاوم المرح العفوي الذي يميز الحسان، لذلك هو بارع في قيادة الأشقياء، ولكن الجلوس معه بمفردك قد يسبب لك الدوار. قالت تالي بهدوء: «نعم، ولكن سكان المدينة القديمة جميعهم ماتوا. لقد كان عددهم كبيرًا، ولكنهم كانوا أغبياء جدًا».

فرد بلهجة من سبق له سماع ذلك الكلام حتى حفظه: «أعرف، أعرف. ستقولين إنهم كادوا يدمرون العالم»، ثم تنهد وقال: «لكنني لم أستمتع بشيء قدر استمتاعي بالتسلل إلى الأطلال».

لمعت عينا زين وهو يقول هذه الكلمات، وتذكرت تالي رحلاتها إلى الأطلال، وكيف كان الجلال الذي تتسم به مدينة الأشباح يجعل كل خلية في جسدها في قمة التحفز، فشعورها بأن الخطر الحقيقي يحدق بها في كل مكان هناك يختلف تمامًا عن النشوة التي تنتابها حين يرتفع بها المنطاد أو حين تقفز من سطح عالٍ وهي ترتدي سترة قفز، فهي تعرف أن كل ذلك لن يلحق بها ضررًا حقيقيًا. ارتعدت تالي، وهي تتذكر بعضًا من تلك الأحداث المثيرة الماضية وعندئذ التقت عيناها بعيني زين، فقالت: «أنا أعرف قصدك».

– «وأنا كنت أعرف أنني لن أعود إلى هناك بعد أن أخضع للعملية، فالحسان الجدد لا يقومون بحيل كهذه. لذلك حينما اقترب عيد ميلادي السادس عشر بدأت أفكر في مغادرة المدينة والتوجه إلى البرية، على الأقل فترة ما».

أومأت تالي برأسها ببطء، فقد تذكرت أن شاي كانت تقول لها كلاً ما مشابهاً عندما التقت بها أول مرة، وهو ما أقنعها بأن تخطو أولى خطواتها في طريق الهروب إلى مدينة الضباب. وقالت: «وتمكنت أنت من إقناع شاي وكروي والآخرين بأن يأتوا معك، أليس كذلك؟»

قال زين وهو يضحك: «لقد حاولت، في البداية ظنوا أنني مجنون، لأنه لا يمكن لأحد أن يعيش في البرية. ولكن بعد ذلك التقينا هناك في البرية بذلك الفتى الذي ...» قالت تالي: «كفى». لقد شعرت فجأة بأن قلبها يخفق بسرعة، وكأنها تناولت قرصًا حارقًا للسعرات، فتسارعت عملية التمثيل الغذائي لديها لحرق السعرات. وأحسّت بنداوة على وجهها وأن النسيم أصبح باردًا فجأة، وشعرت برطوبة على وجنتيها، ولكن وجوه الحسان لا تعرق ...

أخذت تالي تطرف بعينيها، وهي تقبض يديها بقوة حتى إن أظافرها انغرست في راحتها. لقد تغير العالم قليلاً. شعرت تالي بأن خيوطاً رفيعة من أشعة الشمس تخترق أوراق الشجرة التي تظللها بحدة، وهي تحاول التنفس بعمق وببطء. لقد تذكرت الآن أن الشيء نفسه حدث في الليلة الماضية عندما رأت كروي.
قال زين: «تالي؟».

هزت تالي رأسها، فلم تكن تريده أن يقول أي شيء، ولا سيما عن لقاءه بأحد الأشخاص عند أطلال المدينة القديمة، لقد وجدت نفسها تتحدث بسرعة حتى تمنعه من مواصلة الكلام، وأخذت تردد ما قالتها شاي لها: «لقد سمعتم عن منطقة الضباب، أليس كذلك؟ حيث يعيش الناس حياة تشبه حياة سكان ما قبل العصر القديم ويظلون قباء مدى الحياة. ولذلك قررتم أن تذهبوا جميعكم إلى هناك. ولكن عندما حان وقت الهروب من المدينة، جُبن معظمكم. لقد حكى لي شاي عن تلك الليلة، لقد حزمت جميع أمتعتها وكل شيء كان معاً، ولكنها في النهاية عجزت عن الهروب من فرط خوفها».

أوماً زين برأسه وهو يتطلع إلى فنجانه.
قالت تالي: «إذن، تهربت أنت أيضاً من الذهاب إلى هناك، أليس كذلك؟ ألم يكن من المفترض أن تهرب أنت في تلك الليلة؟».

رد زين بفتور: «بلى، لم أذهب، مع أن الفكرة بأكملها كانت فكرتي أنا، وأصبحت من الحسان في الميعاد المحدد تماماً».

أشاحت تالي عنه بوجهها، إذ عجزت عن أن تمنع نفسها من أن تتذكر ما حدث أثناء ذلك الصيف؛ هرب بعض أصدقاء شاي إلى منطقة الضباب، وتحول البعض الآخر إلى حسان، تاركين شاي وحدها في مدينة القباء، وحينذاك التقت شاي بتالي، وأصبحتا صديقتين حميمتين، وحينما نجحت محاولة شاي الثانية وتمكنت من الهرب كانت تالي قد تورطت في الأمر بأسره.

زفرت تالي زفرة طويلة، وهي تحاول أن تطمئن نفسها. ربما كان ما حدث في الصيف الماضي كابوساً مفرغاً، ولكن لولاه ما أصبحت الآن واحدة من الأشقياء، ولم تصبح إلا واحدة ضعيفة غير لطيفة من الحسان الجدد المملين وتحاول الانضمام إلى أية جماعة. ربما كان ما وصلت إليه الآن يستحق تحمل مشقة كل ما مر بها، فهي الآن حسناء ومحبوبة.

تطلعت تالي إلى زين، حيث كانت عيناه الجميلتان لا تزالان تحدقان إلى بقايا القهوة التي ترسبت في فنجانه. شعرت بأنها عادت إلى هدوئها فابتسمت. يبدو زين حزيناً للغاية وهو جالس، وحاجباه الداكنان متقوسان في يأس، فلا يزال يشعر بالندم لأنه تهرب من الخروج إلى منطقة الضباب. أمسكت تالي بيده. قالت تالي: «إن ما حدث ليس أمراً جليلاً، لم يكن الوضع هناك رائعاً، فغالباً كانت بشرتك ستحترق من الشمس وتصاب بلدغات الحشرات».

رفع زين عينيه إليها وهو يقول: «على الأقل أنتِ استغللتِ الفرصة يا تالي، لقد أوتيت ما يكفي من الشجاعة لتكتشفي ذلك بنفسك».

– «لم يكن لدي خيار آخر، كان عليّ العثور على شاي.» وارتجفت وهي تسحب يدها من يده وأردفت: «أنا محظوظة لأنني تمكنت من العودة».

اقترب زين منها ومد يده ليتحسس بأصابعه الرقيقة البشرة الجديدة المرشوشة فوق الندبة الموجودة بجبهتها، ونظر إليها وقد اتسعت عيناه الذهبيتان وقال: «أنا سعيد لأنك عدت».

ابتسمت وهي تلمس ظهر يده وقالت: «وأنا أيضاً».

زحفت أصابع زين إلى شعرها وتخللته، وضمها إليه برفق، فأغمضت عينيها وتركت شفتيه تضغطان على شفتيها، ورفعت يديها لتتحسس بشرة وجنته الناعمة الخالية من العيوب.

شعرت تالي بأن قلبها يخفق بعنف مرة أخرى، وأن ذهنها تعصف به الخواطر حتى وشفتها تنفجران، وأحست بأن الواقع يتبدل من حولها مرة أخرى، لكن الإحساس راق لها هذه المرة.

عندما وصلت تالي إلى مدينة الحسان الجدد حذرها بريس من الجنس، فالاقتراب أكثر من اللازم من الحسان الآخرين قد يكون مربكاً جداً للحسان الجدد في عالم الجمال، فهم يحتاجون إلى بعض الوقت لكي يعتادوا على الوجوه الأخاذة والأجسام المثالية والعيون اللامعة، فحين يتصف الجميع بالجمال قد ينتهي بك الأمر إلى الوقوع في حب أول شخص من الحسان تتبادل معه قبلة.

ولكن ربما يكون الوقت قد حان، فقد أتمت شهرها الأول في مدينة الحسان الجدد، وزين يتمتع بمكانة مميزة، ليس فقط لأنه زعيم الأشقياء ولأن ملامحه تختلف عن الآخرين، بل لحرصه على أن يكون لطيفاً ومرحاً ولحرصه على التحايل على القواعد، كل ذلك يجعله يفوق الآخرين حسناً، على ما تظن.

ومن بين كل الأشياء غير المتوقعة التي حدثت في غضون الأربع والعشرين ساعة الماضية، كان هذا أحلاها. حين قبلت زين شعرت بأن رأسها يدور، ولكن ليس وكأنها تسقط في الظلام، كانت شفتاه دافئتين وناعمتين ومثاليتين، وشعرت تالي بالأمان حينما عانقتا شفتيها.

مرت فترة طويلة قبل أن يتباعدة قليلاً، ولا تزال عينا تالي مغمضتين. وشعرت بأنفاسه تلامس وجهها وبيده الدافئة الناعمة خلف رقبتها، وهمست: «ديفيد».

الفصل السادس

الصحوة

ابتعد زين عن تالي مضيئاً عينيه.

قالت بارتباك وسرعة: «أنا آسفة، أنا لا أعرف ماذا...»

وأخذ صوتها يخفت حتى صمتت تماماً، فأوماً زين برأسه ببطء: «لا عليك». بدأت تتحدث مرة أخرى: «أنا لم أقصد أن...» ولكن زين أشار لها بيده لكي تصمت، وظهر على قسماته الجميلة تعبير ينم عن الاستغراق في التفكير، وأخذ يحدق في الأرض وهو يشد الحشائش بين إصبعيه.

قال زين: «أنا أتذكر الآن».

– «تتذكر ماذا؟»

– «كان هذا هو اسمه».

– «اسم من؟»

بدأ زين يتحدث بنبرة خافتة وهادئة وكأنه يخشى أن يوقظ شخصاً نائماً بجواره: «هو من كان سيأخذنا إلى الضباب؛ ديفيد».

شهقت تالي بصوت خافت، وضيق عينيهما وكأن أشعة الشمس قد ازدادت حدتها. وكانت لا تزال تشعر بأثر شفتي زين على شفتيها وبالدفء في موضع لمساته، ولكنها وجدت نفسها ترتعد فجأة.

أمسكت بيد زين وهي تقول: «أنا لم أقصد أن أقول ذلك».

رد: «أعرف، ولكننا أحياناً نستعيد الذكريات». رفع زين بصره من الحشائش،

وعيناه الذهبيتان تلمعان وقال: «حدثني عن ديفيد».

ابتلعت تالي ريقها وأشاحت بوجهها عنه.

ديفيد، وجدت نفسها تراه الآن، بأنفه الكبير الغريب وجبهته العالية وحذائه يدوي الصنع، وسترته المصنوعة من جلود الحيوانات. لقد نشأ ديفيد في الضباب، ولم تطأ قدمه أي مدينة من المدن طوال حياته. لقد كان وجهه قبيحاً من أعلاه إلى أسفله، وقد لوحث الشمس بشرته فصار لونها غير متناسق، وهناك ندبة تقطع أحد حاجبيه ... ولكنها حين تذكرته اشتعل شيء داخلها.

هزت تالي رأسها في دهشة، فقد نسيت ديفيد بطريقة أو بأخرى. ولكن زين حاول أن يضغط عليها لكي تتحدث فقال: «لقد التقيت به في أطلال المدينة القديمة، أليس كذلك؟».

قالت تالي: «نعم، لقد سمعت عنه من شاي، وقد حاولت أن تعرفني عليه في إحدى المرات، ولكنه لم يأت، ولكنه هو من اصطحب شاي إلى الضباب». تنهد زين وقال: «كان من المفترض أن يصطحبني أنا أيضاً. ولكنك ذهبت إلى الضباب بمفردك، أليس كذلك؟».

– «نعم، ولكن عندما وصلت إلى هناك، أنا وهو ...» لقد تذكرت تالي الآن، بدا لها أن ذلك حدث منذ مليون عام، ولكنها تستطيع أن ترى نفسها — حينما كانت قبيحة — تُقبل ديفيد، وتقطع معه البرية لأسابيع بمفردهما. انتابتها دفقة غريبة من الذكرى، كم بدا لها وجودها معه آنذاك قوياً وصرمدياً.

ولكن بعد ذلك اختفى ديفيد اختفاء غامضاً. سألتها زين: «وأين هو الآن؟ هل أمسكت به السلطات الخاصة عندما دمرت منطقة الضباب؟».

هزت تالي رأسها؛ فقد كانت ذكرياتها الأخرى عن ديفيد باهتة ومراوغة، ولكن اللحظة التي افترقا فيها ... اختفت من ذاكرتها، قالت: «لا أعرف».

شعرت تالي بدوار، إنها المرة المائة في ذلك اليوم التي تشعر فيها أن العالم يدور من حولها، ومدت يدها تجاه صينية الإفطار، ولكن زين أمسك بها وقال: «لا، لا تأكلي».

– «ماذا؟»

– «لا تأكلي أي شيء آخر يا تالي، بل عليك أن تتناولتي قرصين من هذه الأقراص». وأخرج زين شريطاً من أقراص حرق السعرات من جيبه، وكان الشريط ينقصه أربعة أقراص.

أخرج زين قرصين آخرين وابتلعهما برشفة من القهوة وهو يقول: «من المفيد أن تتسارع خفقات القلب».

سألت تالي: «فيما يفيد ذلك؟».

أشار زين إلى رأسه وقال: «يفيد في التفكير، فالجوع يساعد على تركيز الذهن، في الواقع أي شيء مثير يمكن أن يفيد في ذلك». ابتسم زين ابتسامة عريضة وهو يضع الشريط في يدها وقال: «كأن تقبلي شخصاً لم تقبليه من قبل، فذلك مفعوله ممتاز». أخذت تالي تحمق في أقراص حرق السعرات، دون أن تفهم شيئاً. وأخذ الشريط اللامع المصنوع من رقائق الألومنيوم يومض في الشمس وميضاً مزعجاً، وشعرت أن حوافه حادة مثل حد السكين.

– «ولكنني لم أأكل إلا النزر اليسير من الطعام، وهو ما لا يمكن أن يزيد من

وزني».

– «ليس ما يهمني هو خسارة الوزن. أنا أحتاج لأن أتكلم معك يا تالي، أحتاجك معي دقيقة أخرى. لقد كنت أنتظر أن ألتقي بمن هي مثلك منذ مدة طويلة. أنا أريدك أن تكوني ... يقظة ومنتبهة».

– «وهل من المفترض أن تجعلني أقراص حرق السعرات يقظة ومنتبهة؟»

– «إنها تساعد على ذلك. سوف أشرح لك فيما بعد. فقط ثق بي يا تالي-وا».

ظل زين يحرق فيها بنظرات عميقة ثابتة، كدأبه عندما يشرح للأشقياء فكرة جديدة لإحدى الحيل. كان من الصعب مقاومة زين عندما يصبح هكذا، حتى إن كان ما يقوله غير منطقي.

«حسنًا». وبأصابع مرتبكة أخرجت تالي قرصين من الشريط ومدت يدها نحو

فمها، ولكنها ترددت، فمن المفترض عدم تناول هذه الأقراص إلا بعد الأكل، لأنه يمثل خطرًا. في العصر القديم — عصر ما قبل عملية التحول الجراحية، عندما كان الناس جميعهم قبحاء — كان هناك مرض يمتنع المصابون به عن الطعام عمدًا. لقد كانوا يخافون جدًا من أن تصيبهم البدانة، حتى إنهم كانوا يصابون بنحافة شديدة، بل كانوا أحيانًا يتركون أنفسهم يتضورون جوعًا في عالم يعج بالطعام. كان هذا المرض من أخطر الأمراض التي نجحت العملية في التخلص منها.

ولكن قرصين من أقراص حرق السعرات لن يقضيا عليها. وعندما ناولها زين فنجان قهوته، ابتلعت تالي القرصين برشفة من القهوة، ثم التوت قسمات وجهها اشمئزًا من المذاق اللاذع.

قال زين وهو يبتسم: «قهوة مركزة، أليس كذلك؟».

بعد لحظة بدأ قلبها يدق بعنف، وأخذ التمثيل الغذائي داخل جسمها يتسارع. ظلت رؤيتها حادة، ومثلما حدث في الليلة الماضية شعرت وكأن هناك غشاوة بلاستيكية رقيقة كانت تحجب عنها العالم بدأت تنقشع من فوق عينيها، وأخذت تضيق عينيها أكثر أمام ضوء الشمس الساطع.

قال زين: «ما آخر شيء تتذكرينه عن ديفيد؟».

حاولت تالي أن تثبت يديها المرتعشتين، وأخذت تنقب في ذهنها وتحاول أن تخترق الضباب الذي يحيط بذكرياتها عن أيام القبح. وقالت: «كنا جميعًا موجودين عند الأطلال القديمة خارج المدينة. أتذكر ما حكته شاي عن قصة اختطافنا لها؟». أوماً زين برأسه، مع أن شاي قد حكّت القصة بأكثر من طريقة، في بعض المرات قالت شاي إن تالي وسكان الضباب اختطفوها من مبنى المقر الرئيسي للسلطات الخاصة. وفي روايات أخرى قالت إنها تركت المدينة لكي تنفذ تالي من الضبابيين، وهربتا معًا إلى المدينة مرة أخرى. وبالطبع لم تكن قصص شاي هي الوحيدة التي تتغير أحداثها في بعض الأحيان، فالأشقياء غالبًا يضيفون بعض المبالغات على حكاياتهم عن الأيام الخوالي، فهدفهم هو إضفاء الجاذبية على تلك الحكايات، ولكن تالي استشعرت أن زين يريد أن يعرف الحقيقة.

استطردت تالي: «لقد دمرت السلطات الخاصة منطقة الضباب، ولكن كان هناك بضعة منا لا يزالون يختبئون في الأطلال القديمة».

– «الضباب الجديد، هذا هو الاسم الذي كان القبحاء يطلقونه عليه».

– «هذا صحيح، ولكن كيف عرفت ذلك؟ ألم تكن قد صرت من الحسان في ذلك

الحين؟»

ابتسم زين ابتسامة عريضة وقال: «أتظنين أنك الوحيدة من بين الحسان الجدد التي أقنعتها أن تروي لي القصص يا تالي-وا؟».

– «آه»، تذكرت تالي القبلّة التي تبادلتها مع زين منذ لحظات، وأخذت تتساءل

عن الطريقة التي يحث بها زين الأخريات على تذكر أيام القبح.

سألها زين: «ولكن لماذا عدت إلى المدينة؟ لا تقولي لي إن شاي قد أنقذتك فعليًا».

هزت تالي رأسها: «لا أظن ذلك».

– «هل أمسكت السلطات الخاصة بك؟ وهل أمسكو بديفيد أيضًا؟»

– «لا.» انطلقت الكلمة من بين شفتيها دون تردد. صحيح أن ذكرياتها مشوشة، ولكنها كانت متأكدة أن ديفيد لا يزال موجودًا خارج المدينة في مكان ما، وأصبحت تراه الآن بوضوح في مخيلتها وهو مختبئ في مدينة الأطلال القديمة.

– «أخبريني يا تالي، لماذا عدت إلى هنا، وسلمت نفسك؟»

كان زين لا يزال يمسك بيدها، يضغط عليها بشدة وهو ينتظر إجابتها. لقد قرب وجهه منها مرة أخرى، وعيناه الذهبيتان تلمعان في الظل المتفاوت، وقد بدت فيهما لهفة لكل ما تقوله. ولكن الذكريات استعصت عليها، إذ كانت محاولة تذكر تلك الأيام تشبه ضرب رأسها في أحد الجدران.

عضت تالي على شفتها وقالت: «كيف لا يمكنني أن أتذكر، ماذا أصابني يا

زين؟».

– «هذا سؤال جيد، ولكن أيًا كان ما أصابك، فقد أصابنا جميعًا.»

– «أصاب من؟ الأصدقاء؟»

هز زين رأسه، وهو يرفع عينيه إلى أبراج الاحتفالات الشاهقة التي تطل عليهما من ارتفاع عالٍ، وقال: «ليس نحن فقط، بل الجميع. على الأقل كل من يعيش في مدينة الحسان الجدد، فمعظم الناس لا يريدون حتى أن يتحدثوا عن أيامهم الماضية حينما كانوا من القباء، فهم يقولون إنهم لا يريدون التحدث عن مثل هذه الأشياء الطفولية المملة».

أومأت تالي برأسها، فقد أدركت بسرعة أن الأمور تسير على هذا النحو في مدينة الحسان الجدد؛ ففيما عدا ما اعتاد عليه الأصدقاء، يعد الحديث عن أيام القبح شيئًا يتنافى تمامًا مع روح العصر والذوق العام.

استطرد زين: «ولكن إذا ضغطت عليهم فسيتضح لك أن معظمهم يعجزون

عن التذكر».

قطبت تالي جبينها وقالت: «ولكننا نحن الأصدقاء دائمًا نتحدث عن الأيام

الماضية».

قال زين: «لقد كنا جميعًا من مثيري المتاعب، ولذلك لدينا مخزون من القصص المثيرة، ولكن علينا دائمًا أن نحكي هذه القصص، ويستمتع بعضنا إلى بعض، ونخالف القواعد، وعلينا دائمًا أن نبقي متيقظين، وإلا سننسى مع الوقت كل شيء يخص هذا الماضي. سننسى إلى الأبد».

عاد زين يحدق فيها بقوة مرة أخرى، لقد أدركت تالي شيئًا مهمًا فجأة، فقالت:

«هذا هو هدف الأصدقاء، أليس كذلك؟».

أوماً زين برأسه. «هذا صحيح يا تالي، الصمود أمام النسيان، ومساعدتي على اكتشاف ما أصابنا.»

- «كيف لك أن ... ما الذي يجعلك مختلفًا هكذا؟»

- «سؤال جيد آخر. ربما لأنني ولدت هكذا، أو ربما لأنني قطعت عهدًا على نفسي في الربيع الماضي، في تلك الليلة التي جئنت فيها وتراجعت عن الهروب». وأردف: «في يوم من الأيام سوف أترك المدينة سواء صرت من الحسان أم لا»، وحينئذ بدأ صوت زين يخبو وهو ينطق بالكلمات الأخيرة، ثم زفر وقال: «ولكن اتضح لي أن الأمر أصعب بكثير مما كنت أظن، فقد بدأت أحس بالملل الشديد وأنا هناك، وكنت قد بدأت أنسى». وتهلل وجهه وهو يضيف: «ولكنك ظهرت بعد ذلك بقصصك الغريبة التي تخلو من المنطق. الآن تسير الأمور على نحو يساعد على اليقظة والانتباه.»

ردت تالي: «أظن ذلك». ونظرت إلى يدها التي يمسك زين بها، وقالت: «أسمح لي بسؤال آخر يا زين-لا؟».

ابتسم زين وقال: «بالطبع فأنا معجب بأسئلتك».

أشاحت تالي بوجهها وقد بدا عليها شيء من الإحراج وقالت: «عندما قبلتني، هل كان ذلك لكي تبقى متيقظًا، وتساعدني على التذكر على نحو أفضل؟ أم كان ذلك ...». وخفت صوتها شيئًا فشيئًا ثم صمتت، وهي تنظر بخوف في عينية.

ابتسم زين ابتسامة عريضة وقال: «ما رأيك أنت؟» ولكنه لم يمهلهما وقتًا لكي تجيب عليه، فقد وضع يديه على كتفيها وجذبها إليه مرة أخرى، وقبلها قبلة أشد حرارة هذه المرة، حتى إن دفء شفثيه امتزج مع قوة يديه وهما يضغطان على كتفيها، واختلط ذلك الدفء بطعم القهوة ورائحة شعره.

عندما انتهيا مالت تالي إلى الخلف وأخذت تلهث، فقد سلبتها القبلة القدرة على التنفس تمامًا. ولكنها أشعلت بداخلها التيقظ والانتباه أكثر من أقراص حرق السعرات، وأكثر حتى من القفز من برج الاحتفالات في الليلة الماضية. وتذكرت تالي شيئًا آخر كان من الضروري أن يكون واضحًا في ذهنها قبل الآن، ولكنه لم يكن واضحًا لسبب تجهله.

كان زين سيسعد كثيرًا بهذا الشيء.

قالت تالي: «في الليلة الماضية أخبرني كروي أن معهم شيئاً يخصني، ولكنه لم يقل لي ما هو ذلك الشيء، قال إنه سيتركه لي هنا في مدينة الحسان الجدد، في مكان خفي حتى لا يجده الحراس».

سألها زين وقد اتسعت عيناه: «أهو شيء من الضباب الجديد؟ أين؟».

– «فالانتينو ٣١٧».

الفصل السابع

فالانتينو ٣١٧

قال زين: «انتظري لحظة»، ثم سحب خاتم الاتصال من إصبعها، وخلع خاتمه، ثم توغل بها في حديقة المتعة التي يطل عليها قصر فالانتينو. قال زين: «من الأفضل ألا نرتدي هذين الخاتمين، فنحن لا نرغب في أن يتتبعنا أحد».

ردت تالي: «معك حق». وتذكرت تالي أيام القبح، وكيف كان من السهل أن تخترق أنظمة الإشراف الإلكترونية الخاصة بعنابر النوم. وتابعت: «الحارسان في الليلة الماضية ... قالوا إنهما سيراغباني جيداً».

ضحك زين ضحكة خافتة: «إنهم دائماً ما يراقبونني».

علق زين الخاتمين في قطعة من الخيط وربطهما في قصبتيين طويلتين من قصب الخيزران، فانثنت القصبتيان بفعل ثقل الخاتمين المعدنيين. قال زين شارحاً: «سوف تحركهما الرياح من آن لآخر، وبهذه الطريقة سيبدو الأمر وكأننا لم نخلعهما من إصبعينا».

- «ولكن ألن يبدو ذلك غريباً؟ أعني وجودنا معاً في مكان واحد فترة طويلة».

ضحك زين وقال: «إنها من حقائق المتعة، أنا أقضي معظم وقتي هنا».

شعرت تالي بالضيق من كلماته، إذ فهمت ما تعنيه، ولكنها لم تدع ذلك يبدو

عليها، وسألته: «ولكن كيف سنعثر عليهما مرة أخرى؟».

- «أنا أعرف هذا المكان، لا تقلقي».

- «أنا آسفة».

التفت زين إليها وضحك: «آسفة على ماذا، هذا أفضل إفطار تناولته منذ فترة

طويلة».

ترك زين وتالي الخاتمين معلقين، وانطلقا لأسفل في اتجاه النهر وقصر فالانتينو، وتالي تتساءل بينها وبين نفسها عما يمكن أن يجدها في الغرفة رقم ٣١٧. في معظم القصور يطلقون على كل غرفة اسمًا خاصًا بها — فغرفة تالي الموجودة في قصر كوماشي كانت معروفة باسم إيتيسيترا، وغرفة شاي تعرف بغرفة بلوسكاي — ولكن فالانتينو قصر قديم جدًا حتى إن غرفه تحمل أرقامًا بدلًا من الأسماء، ولطالما كان ساكنو قصر فالانتينو يتفاخرون بأشياء من هذا القبيل، ويتمسكون بالتقاليد القديمة لمنزلهم العتيق.

قال زين وهما يقتربان من القصر الضخم مترامي الأطراف: «اختيار صائب لإخفاء ما لديهم، فهذا المكان يصعب الوصول إليه، ومن السهل الحفاظ على الأسرار في مكان لا تتحدث جدرانه».

قالت تالي: «ربما كان ذلك هو سبب اقتحامهم لحفل مقام في فالانتينو وليس في أي قصر آخر».

قال زين: «ولكنني ذهبت وأفسدت كل ترتيبات خطتهم».

نظرت إليه تالي وقالت: «أنت؟».

— «لقد اتجهنا في البداية إلى القصر الحجري، ولكن حينما فشلنا في العثور عليكم في أي مكان، قلت إن علينا أن نصعد إلى برج الاحتفالات الجديد حتى نعثر الجدران الذكية عليكم».

قالت تالي: «لقد خطرت لنا هذه الفكرة نفسها».

هز زين رأسه وقال: «أجل، لو بقينا كلنا بأسفل في قصر فالانتينو، لما استطاعت السلطات الخاصة العثور على كروي بهذه السرعة، ومن ثم كان سيصبح لديه وقت كافٍ لكي يتحدث إليك».

— «هل يسترقون السمع من خلال الجدران؟»

ابتسم زين ابتسامة عريضة وقال: «نعم، فلماذا تظنين إذن أنني اقترحت عليك أن نقوم بنزهة خلوية في هذا اليوم قارس البرودة».

أومأت تالي برأسها، وأخذت تفكر بإمعان في الأمر؛ إن خاتم الاتصال المرتبط بأجهزة المدينة يستقبل الرسائل الخاصة بصاحبه، ويجب على أسئلته، ويذكره بمواعيده، ويطفئ أيضًا الأنوار أو يضيئها في غرفته، وإذا كانت السلطات تود أن تراقب أي شخص فبوسعها أن تعرف كل ما يفعله ونصف ما يفكر فيه، وتذكرت

تالي حديثها إلى كروي في البرج، وخاتم الاتصال في إصبعها، والجدران تلتقط كل كلمة ... «هل يراقبون الجميع؟»

– «لا، ليس بوسعهم أن يقوموا بذلك، ومعظم الناس لا يستحقون عناء المراقبة، ولكن البعض منا يتلقى معاملة خاصة، مثلما هو الحال داخل أبنية السلطات الخاصة.»

أطلقت تالي سبةً، لقد وصل عملاء السلطات الخاصة في الليلة الماضية إلى البرج بمنتهى السرعة، فهي لم تتحدث مع كروي سوى دقائق معدودة، وكأنهم يقفون على مقربة منهم. ربما اكتشفوا أن أحدهم اقتحم الحفل، أو ربما لم تكن تفصلهم مسافة كبيرة عن تالي يانج بلود ...

تطلعت تالي إلى الأشجار وظلالها تتحرك مع الريح، وأخذت تتخيل أن هناك أشباحاً رمادية تمرق بين الأشجار. وقالت: «أنا لا أظن أن ما حدث ليلة أمس كان بسببك يا زين. كان ذلك خطأي أنا.»

– «ماذا تعنين؟»

– «إنه دائماً خطأي.»

قال زين بصوت هادئ: «دعك من هذه السخافة يا تالي، ليس عيباً أنك ممن يتمتعون بمكانة مميزة.»

خفت صوته شيئاً فشيئاً ثم صمت وهما يمران تحت القنطرة التي تعلو المدخل الرئيسي لقصر فالانتينو. وداخل الجدران الحجرية الباردة لف الصمت المكان فبدا أشبه بصمت القبور.

همس زين: «كان الحفل لا يزال مستمراً عندما انصرفنا، ربما يكونون قد ناموا جميعهم لتوهم.»

أومأت تالي برأسها. لم يكن أي من عمال الصيانة الأليين قد بدءوا في أعمالهم، وأجزاء من الأزياء التنكرية الممزقة مبعثرة في الردهات، وعبقت الهواء في المكان رائحة المشروبات المسكوبة بعطر حلو يبعث على الغثيان، والأرض لزجة تحت أقدامهم، وقد تجرد المكان من كل مظاهر الروعة والبهاء التي أضفاها الحفل عليه، مثلما تنتهي روعة الليالي التي تدور فيها كؤوس الشمبانيا بالأم الصداق الناتج عن الإسراف في الشراب.

شعرت بأن إصبعها عار بدون خاتم الاتصال، وتذكرت كيف كانت تخلعه من إصبعها وهي قبيحة لكي تتسلل وتعبّر النهر، والرعب يملكها خشية أن يضبطها

أحد آنذاك. ولكن الخوف أبقاها متيقظة، وأرهف حواسها حتى إنها تمكنت من سماع صوت النفائات التي خلفها الحفل وهي تتحرك على الأرضية في الممرات التي تعصف بها تيارات الهواء، وكذلك تمكنت من تمييز رائحة الشمبانيا المسكوبة على الأرض التي يفوح منها عبق الزبيب المختمر عن رائحة الجعة العتيقة. ولم يبدد صمت المكان سوى صوت وقع أقدامهما.

همست تالي: «لا بد أننا سنجد نزلاء الغرفة ٣١٧ نائمين».

رد عليها زين بصوت منخفض وعيناه تلمعان في الظلام غير الحالك: «إذن فسوف نوقظهم».

كانت أرقام الغرف في الطابق الأرضي تبدأ من مائة وتنتهي بمائة وتسعة تسعين، ولذلك بحث الاثنان عن طريقة يصعدان بها إلى الطابق الأعلى. وكان القصر قد زُود بمصاعد كهربائية في مكان ما، ولكن بدون خاتمي الاتصال لن تفتح لهما أبواب هذه المصاعد. صعد زين وتالي سلماً درجاته حجرية فوجدا نفسيهما في الطابق الثالث أمام صف من الغرف يبدأ بغرفة رقم ٣٠١، وظلت الأرقام تتصاعد وهما يسيران في الردهة. والغرف التي تحمل أرقاماً فردية تقع على جانب، والغرف ذات الأرقام الزوجية تقع على الجانب المقابل. ضغط زين على يدها حينما وصلا إلى غرفة رقم ٣١٥.

ولكن الغرفة التي تلتها تحمل رقم ٣١٩.

عادا إلى الورا، ليتأكدا من الأرقام الموجودة على الجانب الآخر من الردهة، ولكن لم يجدا إلا أبواباً تحمل الأرقام: ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٠. بحث زين وتالي في بقية الطابق، ووجدا غرفاً تحمل أرقاماً تبدأ من ٣٢٠ وغرفاً تبدأ من ٣٣٠، كانت الأرقام التي تحملها هذه الغرف زوجية وفردية، ولكن لم يجدا الغرفة رقم ٣١٧ بقصر فالانتينو. قال زين وهو يضحك ضحكة خافتة: «إنه لغز يعتمد حله على اليقظة».

تنهدت تالي وقالت: «ربما لم يكن كل ذلك إلا مزحة».

– «أظنن أن سكان الضباب الجديد سيخترقون أنظمة الإرسال الإلكترونية ويغيرون دعوة تلقته المدينة بأكملها، ويتسللون عبر النهر، ويقتحمون إحدى الحفلات فقط لكي يضيعوا وقتنا؟»

وافقته تالي: «على الأرجح لا»، ولكنها شعرت بأن شيئاً ما بداخلها بدأ يخبو، ووجدت نفسها تفكر في جدوى هذه الرحلة الاستكشافية للبحث عن سر كبير أخفاه

«القباء»، ثم إن التسلل إلى قصر يخص آخرين والتجول فيه هكذا يعد أمراً سخيماً للغاية. سألتته تالي: «هل تظن أن طعام الإفطار لا يزال دافئاً؟».

التفت إليها وهو يرنو إليها بنظرة مشحونة بالانفعالات وهو يقول: «تالي ...» وبيدين مرتعشتين أزاح خصلات شعرها خلف أذنيها وأردف: «ابقي معي».

قالت تالي: «أنا هنا معك».

ضمها زين إليه، حتى كادت شفتاه تمس شفثيها وهو يقول: «أنا أعني، ابقي متيقظة».

قبلته تالي، وأحست أن معالم العالم من حولها تتضح حين شعرت بضغط شفثيه. وتجاهلت فكرة إحساسها بالجوع وقالت: «ماذا عن المصعد الكهربى؟».

– «أي مصعد تقصدين؟»

قادته مرة أخرى إلى المساحة الموجودة بين غرفة رقم ٣١٥ والغرفة رقم ٣١٩. هناك باب مصعد يتوسط الجدار الحجري الطويل.

قالت تالي: «هنا كانت غرفة».

فقال زين: «ولكنهم تخلصوا منها حينما ركبوا المصعد». وضحك وأردف قائلاً: «يا لهم من كسالى هؤلاء الحسان، ألا يستطيعون أن يصعدوا طابقيين على السلم».

– «ربما تكون الغرفة رقم ٣١٧ قد أصبحت هي هذا المصعد الكهربى».

قال زين: «هذا سخيف، ليس بإمكاننا أن نطلب المصعد من دون خواتم الاتصال».

– «يمكننا أن ننتظر حتى يستدعي شخص آخر المصعد ثم نتسلل إلى الداخل».

أدار زين بصره في أرجاء الردهة الخالية، التي تتراكم فيها أكوام من الأكواب البلاستيكية، والزينات الورقية الممزقة، وقال وهو يتنهد: «سننتظر لساعات من الآن، عندما نكون قد فقدنا يقظتنا وانتباهنا».

– «نعم، لن نكون متيقظين». وبدأت تالي تحس وكأن هناك غشاوة أخذت تتجمع أمام عينيها وتشوش رؤيتها، وقرقرت معدتها الخاوية من فرط الجوع، فقفزت إلى ذهنها صورة فطيرة مافين دافئة بالشيكولاتة، وهزت تالي رأسها لكي تمحوها، واستحضرت بدلاً منها صورة الزي الخاص بالسلطات الخاصة، فحين رأت الحرير الرمادي بالأمس تمكنت من التركيز، مما حفزها لمطاردة كروي والدخول إلى بئر سلم الطوارئ. لقد كان كل ذلك امتحاناً فقط للوقوف على مستوى قدرتها

على التفكير. وربما يكون هذا الموقف امتحاناً آخر، فهو كما قال زين، لغز يعتمد حله على اليقظة.

أخذت تالي تحديق في باب المصعد، لا بد من طريقة للدخول. وشيئاً فشيئاً أخذت تعود إليها ذكرى أيام القبح، ولكنها ذكرى ليست ببعيدة؛ فتذكرت تالي كيف سقطت في بئر مصعد مظلّم ذات مرة. لقد كانت هذه هي إحدى القصص التي تحب شاي سماعها من تالي كثيراً، وهي تحكي عن الطريقة التي مكنتها هي وديفيد من التسلل إلى المبنى الرئيسي للسلطات الخاصة ... قالت تالي: «السطح».

سألها زين: «ماذا؟».

- «يمكن النزول إلى بئر المصعد عن طريق السطح، لقد قمت بذلك بنفسى في إحدى المرات.»
- «حقاً؟»

بدلاً من أن تجيبه قبلته مرة أخرى. إنها لا تتذكر تمامًا كيف تمكنت من ذلك، ولكنها متأكدة من أنه بإمكانها أن تتذكر إذا بقيت متيقظة: «اتبعني».

ولكن الصعود إلى السطح لم يكن بالبساطة التي تتخيلها، فدرجات السلم التي صعدت عليها هي وزين انتهت عند الطابق الثالث. قطبت تالي حاجبيها، وأحست بأن كل شيء يفقد وضوحه بفعل الإحباط الذي أصابها. كان الصعود إلى السطح في قصر كوماشي سهلاً للغاية. «هذا سخف، ماذا سيفعلون إذا نشب حريق في القصر؟». قال زين: «إن الحجارة لا تحترق». وأشار إلى نافذة صغيرة في آخر الردهة، تتخلل أشعة الشمس ألواحها الزجاجية الملونة، وقال: «يمكننا الخروج منها». وأسرع نحوها.

- «ماذا؟ أتريد أن تتسلق الجدار الخارجي؟»

أطل زين برأسه من النافذة ونظر إلى أسفل وهو يطلق صفارة طويلة: «لا يوجد شيء أفضل من المرتفعات يمكن أن يبيحك متيقظة».

قطبت تالي حاجبيها، فهي لم تكن متأكدة مما إذا كانت تود أن تظل متيقظة «إلى هذا الحد».

قفز زين حتى جلس على حافة النافذة السفلية وانحنى إلى الخارج وهو يقبض بيديه على الحافة العليا للنافذة، ثم وقف بحذر، وبدأ ينهض ببطء حتى إن تالي لم

تعد ترى سوى حذائه الطويل يرتكز على الإفريز الحجري من الخارج. بدأ قلبها يدق بعنف، حتى إنها شعرت بخفقات في أطراف أصابعها مع كل دقة من دقاته، لقد أصبح العالم من حولها حاداً مثل الكتل الجليدية المستدقة التي تتدلى من أسقف الكهوف المتجمدة.

ظلت قدماه بلا حراك فترة طويلة من الوقت، ثم أخذ يقترب من الحافة بخطوات بطيئة، حتى لم يعد يرتكز على النتوء الحجري إلا بأصابع قدميه، فأصبح على حافة الهاوية.

– «ماذا تفعل عندك بالأعلى؟»

لم يجيبها لكنها رأت نعليه يرتفعان ببطء في الهواء، وبعدها سمعت تالي صوتاً مكتوماً لاحتكاك نعليه بالحجارة، فأخرجت رأسها من النافذة ونظرت إلى أعلى. رأت زين يتدلى بجسده من حافة السطح، وقدماه تتأرجحان في الهواء وتحتكان بالجدار الحجري، ثم استطاع زين أن يثبت إحدى قدميه في شق بين الحجارة، فسحب نفسه إلى أعلى واختفى عن نظرها.

وبعد لحظة ظهر وجهه وقد ارتسمت عليه ابتسامة عريضة امتدت حتى أذنيه وقال: «ها اصعدي!»

أدخلت تالي رأسها وأخذت نفساً عميقاً، وهي تضع يديها على إفريز النافذة، وكانت الحجارة خشنة وباردة، وقد تسببت الرياح العاتية التي تندفع من النافذة في سريان قشعريرة بجسدها ...

قالت تالي بصوت خافت: «ابقي متيقظة»، ثم رفعت جسدها وجلست على النافذة، فتسربت برودة الحجارة إلى فخذيها، وأرخت عينيها إلى أسفل لتتأمل بسرعة إلى الأرض؛ فقد كانت هناك مسافة كبيرة تفصلها عن أوراق الأشجار وجذور الأشجار المتناثرة التي يمكن أن تخفف من ارتطامها بالأرض. واشتدت قوة الرياح مرة أخرى، فحركت غصون الشجر القريبة، وتمكنت تالي من رؤية كل غصنين منها، وملأت أنفها رائحة أشجار الصنوبر، فلن تعاني مشكلة بخصوص البقاء متيقظة.

أخرجت إحدى قدميها ووضعتها على إفريز النافذة، ثم وضعت الأخرى بالطريقة نفسها.

الوقوف هو الخطوة المخيفة حقاً، تشبثت تالي بإطار النافذة بإحدى يديها، وهي تنهض لتقف، أما اليد الأخرى فتتخس الجدار الخارجي بحثاً عن موضع

يمكن الإمساك به. لم تجسر تالي على النظر إلى أسفل مرة أخرى. وكان الجدار الحجري البارد يعج بالثقوب والشقوق، ولكنها لا تتسع إلا لأطراف أصابعها. عندما مدّت ساقها ووقفت مستقيمة وجدت نفسها عاجزة عن الحركة لحظة، وأخذ جسدها يترنح قليلاً مع النسيم، وكأن القصر برج شاهق الارتفاع شُيّد بلا أساس.

تناهى إلى سمعها صوت زين آتياً من أعلى: «متيقظة ومنبهة إلى أقصى حد، أليس كذلك؟ فقط تمسكي بالإفريز».

رفعت تالي بصرها من جهة الجدار المواجه لها ونظرت إلى أعلى، حيث كانت حافة السطح أعلى قليلاً من متناول يديها: «هذا ليس عدلاً. أنت أطول مني». مد زين إحدى يديه إلى أسفل ناحية تالي وهو يقول: «ليست هناك مشكلة».

— «هل أنت واثق من أنك تستطيع أن تمسك بي؟»

— «كفي عن هذا، يا تالي-وا، ما فائدة كل هذه العضلات الجديدة إذا لم تُستخدم في شيء».

همست تالي لنفسها: «شيء مثل أن ألقى حتفي؟»، لكنها رفعت يدها لتمسك بيده.

ولكن عضلاتها الجديدة أقوى بكثير مما تتصور، فقد أحكمت أصابعها حول معصم زين، وتمكنت من أن ترفع جسدها بسهولة من فوق إفريز النافذة، حيث أمسكت بيدها الأخرى حافة السطح، وتمكنت من وضع أحد أصابع قدمها في شق صغير في جدار القصر. وصعدت وهي تدمدم من فرط المجهود، ثم تدرجت فوق الإفريز حتى وصلت إلى السطح. تمددت على أرضية السطح باسطة ذراعيها وقدميها فوق السطح الحجري الصلب، وأحست بالاطمئنان، وأخذت تضحك ضحكاً متواصلاً بفعل مشاعر الارتياح التي اجتاحتها.

ابتسم زين ابتسامة عريضة وقال: «لقد كان ما قلته من قبل صحيحاً».

فنظرت تالي إليه بعينين متسائلتين.

— «لقد كنت أنتظر فتاة مثلك منذ وقت طويل».

إن وجوه الحسان لا تحمر خجلاً — أو على الأقل ليس على طريقة القبحاء — ولكن تالي هبت واقفة لكي تخفي رد فعلها تجاه كلمات زين، فإحساس الانتباه الناتج عن تسلق الجدار الحجري وتعريض حياتهما للخطر جعل نظراته حادة للغاية، ووقفت لتتطلع إلى المنظر الذي يطل عليه القصر.

نظرت من فوق السطح، فرأت أبراج احتفالات مدينة الحسان الجدد الشاهقة تعلو فوقهما، والممرات الخضراء المتعرجة في حدائق المتعة التي تمتد حتى أعلى التل الموجود بوسط المدينة، ومن وراء النهر بدت مدينة القبحاء التي بدأ سكانها يومهم، ورأت ملعب كرة قدم، يمتلئ بالقبحاء الذين وصلوا للتو إلى المدينة حول كرة تجمع بين اللونين الأبيض والأسود، وحمل الهواء إلى أذنيها صوت صفارة تدوي بعنف، يبدو المنظر قريباً وواضحاً للغاية. وشعرت تالي أن جهازها العصبي لا يزال يطن ويردد أصداً اللحظات التي كانت تتأرجح فيها وهي معلقة بيد زين.

كانت أرضية السطح الحجرية مستوية، ولا يميزها سوى ثلاث فتحات متحركة للتهوية، وعمود الإرسال الشاهق، وكوخ معدني في حجم خزانة ملابس أحد القبحاء. أشارت تالي إلى الكوخ وقالت: «هذا الكوخ يقع فوق المصعد تماماً».

عبر زين وتالي إلى الجانب الآخر من السطح، وعندما وصلا الكوخ وجدا باباً قديماً من المعدن الصدئ يشبه الأبواب التي تعج بها أطلال المدينة القديمة، وقد نقش عليه بعناية: «فالانتينو ٣١٧».

قال زين بابتسامة: «هذا رائع للغاية يا تالي». جذب زين الباب بعنف، ولكن تصاعد صوت صرير عالٍ لسلسلة معدنية لامعة شدت عن آخرها عندما جذب الباب. نظرت تالي إلى الأداة التي تحجز السلسلة وتمنعها من الانزلاق، وهي تعتصر ذهنها الذي لا يزال مصاباً بالدوار: «هذا الشيء اسمه ... قفل، أظن ذلك». أخذت تتحسس ذلك الجسم المعدني الأملس بين يديها، وتحاول أن تتذكر كيف كان يعمل. «كان سكان الضباب يستخدمونه لحماية الأشياء التي من الممكن أن تتعرض للسرقة» - «رائع، بعد كل هذا لا نزال نحتاج إلى خواتم الاتصال».

هزت تالي رأسها: «إن سكان الضباب لا يستخدمون خواتم الاتصال يا زين، لكي تفتح قفلاً فأنت تحتاج إلى ...» وبحث في ذاكرتها عن كلمة قديمة أخرى، ووجدتها، فأردفت: «لا بد أن يكون هناك مفتاح في مكان ما هنا».

- «مفتاح؟ أيشبه ذلك كلمة المرور؟»

- «لا. إن المفتاح هو شيء معدني صغير، تدخله في فتحة القفل وتديره، فينفتح القفل».

- «كيف يبدو شكله؟»

- «قطعة مسطحة من الصُّلب، في طول إبهام اليد، وله أسنان».

قهقه زين حينما سمع وصفها لصورة المفتاح، ولكنه بدأ يبحث حوله عنه.

حدقت تالي في الباب، فلاحظت أن الكوخ بدا أقدم بكثير من السلسلة المعدنية التي كانت تغلقه. وأخذت تفكر في الغرض الذي كانت تُستخدم من أجله، انحنت إلى الأمام، وقربت رأسها من ذلك الفراغ الصغير الذي أحدثه زين عندما جذب الباب، وهي تضع يديها على جانبي رأسها لتحبب الضوء عن عينيها، وأخذت تدقق النظر داخل الكوخ المعتم، وشيئاً فشيئاً بدأت عيناها تتعودان على الظلام، حتى تمكنت من تمييز بعض الأشكال المعتمة بداخل الكوخ.

يوجد بالداخل، على ما يبدو، بكرة ضخمة ومحرك آلي بدائي الصنع، يشبه تلك المحركات التي كان سكان الضباب يستخدمونها. لقد كانت المصاعد الكهربائية، في وقت من الأوقات، تصعد وتهبط على سلاسل. وهذا الكوخ قديم، لا بد أنه لم يعد يُستخدم الآن بعد اختراع الروافع، وذلك منذ زمن بعيد، فالمصاعد الحديثة تعمل بالطريقة نفسها المستخدمة في الألواح الطائرة وسترات القفز (وهي طريقة أكثر أماناً بكثير من أن يبقى المرء معلقاً بسلسلة ... إن الفكرة نفسها فقط جعلت تالي ترتعد). لا بد أنهم تركوا هذه الآلات القديمة فوق السطح وظلت هنا ليأكلها الصدأ بعدما أضيفت الروافع.

جذبت تالي القفل مرة أخرى، ولكنه ظل ثابتاً، ولكن وجود قفل ثقيل وبدائي الصنع مثل هذا هنا في المدينة بدا شيئاً غريباً للغاية، فالحراس عندما يريدون تأمين شيء ما يركبون مستشعرات عليها تمنع الناس من الدخول. ليس من المفترض أن يكون هناك من استخدم قفلاً معدنياً سوى سكان الضباب الجديد. لقد طلب منها كروي أن تأتي إلى هنا، ولذلك لا بد من وجود مفتاح لهذا القفل في مكان ما هنا.

تمتت تالي: «اختبار سخيف آخر».

سألها زين: «ماذا؟» وكان في تلك اللحظة قد صعد فوق الكوخ المعدني ليبحث عن المفتاح.

استطردت شارحة لزين: «شأنه شأن ارتداء كروي زي السلطات الخاصة، ودفعنا للبحث عن فالانتينو ٣١٧، لا بد أن العثور على المفتاح هو لغز آخر يحتاج إلى حل، لأن كل ذلك ما هو إلا اختبار. إنهم يهدفون إلى عرقلة العثور على الشيء الذي تركه كروي لي، إنهم لا يريدوننا أن نعثر عليه، إلا بعد أن نستعيد انتباهنا». قال زين وهو جالس فوق حافة الكوخ: «أو ربما يقصدون أن يجعلنا البحث متيقظين، حتى نستطيع أن نفكر بوضوح عندما نجد هذا الشيء».

قالت تالي وهي تتنهد: «أيًا كان الأمر». وأحست بشعور من الضيق يتزايد بداخلها، وشعرت بأن هذا الاختبار لن ينتهي، وأنها كلما حلت مشكلة انتقلت إلى مستوى آخر من المشاكل، وكأنها تلعب لعبة فيديو سخيقة. ربما أفضل شيء تفعله هو أن تنسى كل ذلك، وتتناول إفطارها. لماذا تحاول أن تثبت نفسها لسكان الضباب الجديد أصلًا؟ إنهم لا يهتمون بها، إنها جميلة وهم قبحاء.

ولكن زين لا يزال يشعر بالدوار، وقال: «إذن فلا بد أن يخبئوا المفتاح في مكان يتطلب الوصول إليه المزيد من الجهد. ولكن ما الأصعب من تسلق الجدار الحجري والصعود إلى هنا؟».

أدارت تالي بصرها في أرجاء السطح، حتى وقع بصرها على عمود برج الإرسال الطويل، وكان علم فالانتينو فوقه يرفرف في مهب الرياح، على بعد عشرين طابقًا فوقهما، وعندما رآته بدا العالم من حولها يستعيد وضوحه من جديد، فابتسمت وقالت: «الصعود إلى هناك».